الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

شعبة فلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر أكاديمي فلسفة عامة

ميدان: العلوم الاجتماعية

تخصص: فلسفة عامة

الموضوع:

الـنزعــة الـتنويـريـة عند محـمد عثمـان الخشت

– أنمـوذجـا –

إعداد الطالبة:

بوسالم سيرين

إشراف:

د. أحمد زيغمي

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
د. محمد الصديق بن غزالة	أستاذ محاضر	مناقشا
د. أحمد زيغمي	أستاذ محاضر أ	مشرفا
د. عمر بن رابح	أستاذ محاضر	رئيسا

السنة الدراسية: 2022-2023

الشكر والعرفان

الشكر لله أولا من باب قول الرسول صلى الله عليه وسلم

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله".

أتقدم بتحية شكر وتقدير لكل من دعمني ووجهني, وأشكر والداي اللذان يرجع لهما الفضل بعد الله لما وصلت إليه اللحظة, كما أشكر نفسي , كما لا يفوتني بالشكر أختاي الداعمين لي طوال مشواري الدراسي.

أتقدم بتحية شكر وعرفان لأساتذتي في الجامعة وأخص بالذكر أساتذة شعبة الفلسفة والشكر والتقدير للجنة المناقشة , ومني جزيل الشكر لأستاذي المشرف أحمد زيغمي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ولك مني جزيل الشكر والعرفان .

الإهداء

أهدي ثمرة عملي هذا إلى أمي , التي شجعتني منذ بداية مشواري الدراسي . فهي الأحق بالشكر والإهداء

أسأل الله أن يحفظها ويديمها نعمة علي.

مقدمــــــة

مقدمة

شكلت مسألة التنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر, منعطفا حاسما أدى إلى ميلاد عصر جديد, يسعى إلى إحداث ثورة على كل ما هو سائد *في شتى* مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية....الخ.

ليتمظهر لاحقا بوضوح مدى أهمية الثورة الفرنسية في إحداث قطيعة مع المفاهيم الدينية والحط من سلطة الكنيسة الكاثوليكية, فحمل العديد من الفلاسفة والمفكرين والعلماء من أمثال (فولتير, مونتيسكيو, كانط, جون جاك روسو, هوبز) على عاتقهم مهمة ايقاظ أوروبا من الفكر الرجعي ومحاربة الظلام والتقليد والأساطير, الذي يأشر على نقلة جديدة في النظر إلى المسألة الدينية, نظرة مغايرة للنظرة اللاهوتية. لترفع بذلك راية العقلانية وتهتف باسم الحرية والمساواة والعدالة ورفض الاستبداد والقمع. ولا يمكن إنكار أثر هذه الثورة على أوروبا فقط ,بل حتى أثرها على العالم ككل. فكان لها دور كبير في تنوير الفكر العربي بطريقة مباشرة وغير مباشرة, وانقسموا الى نوعين أحدهم المتأثر المعجب بتراث الأوروبي فأخذ ينقله عبر الترجمة وينشر هذه العلوم معبرا عن الاستفادة من روح هذه الثورة, من أمثال طه حسين ويوسف كرم وهناك من وقف موقف الاختلاف وأخذ يمحص ويدقق ويقارن ويحلل وينقد اذا لزم الأمر. من أمثال محمد عثمان الخشت الرجل الجريء في مواقفه الذي يسعى إلى إرساء مبادئ تنويرية عقلانية منطقية والى إعطاء رؤية جديدة للخطاب الديني لتتوافق مع متطلبات الوقت الراهن. من خلال التأسيس لمشروعه العقلاني الذي يهدف من خلاله إلى تحرير العقلانية من العلمانية , ونبذ التعصب من التطرف الديني أو العلماني.

ومن ثم لا مناص من أن تعرج كل دراسة تروم الدقة والشمولية لمعضلة نشأة التنوير والتماس تلك النقلة المنشودة من عصر الظلام الى النور. وعلى ضوء هذا العرض السابق نصل إلى إبراز إشكالية بحثنا هذا والتي تتمثل في :

- ما مدى معقولية المشروع التجديدي التنويري العقلاني للخطاب الديني الذي نادى به محمد عثمان الخشت؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية مفادها:

1. ما التنوير؟ و كيف أثرت أحداث عصر التنوير في أوروبا وعلى العالم العربي الاسلامي؟

2. كيف يمكن أن ننجح في تجديد العقل؟ وما هو الهدف من التجديد؟ أو بعبارة أخرى لماذا نجدد؟

3. وهل يمكن اعتبار رؤية محمد عثمان الخشت في تجديد الخطاب الديني قابلة للتجسيد؟ هل نجدد من أجل دين أكثر قبولا؟ أم نجدده من أجل استعمال أفضل وأسهل؟ هل نجدد لعامة الشعب أم للنخبة؟

4. ما هو المنهج الذي اعتمده الخشت في مشروعه التجديدي؟ فيما يكمن المنشأ الفلسفي للتعصب عند الخشت؟

ولمحاولة معالجة هذه الإشكالية المطروحة وضعنا عددا من الفرضيات في محاولة إثباتها قصد إيجاد حل لها:

- يمكن القول أن الخشت تتملكه عقلية تنويرية واضحة. فكانت له دعوة تنويرية فقهية اصلاحية تدعوا الى التمسك بأصول الدين الحنيف .
- تجاوز الرؤية التقليدية السائدة عن العقائد الدينية , وبناء وعي ديني جديد يكسر قيود الفكر الرجعي وتحرير العقل المغلق على نفسه (التعصب).
- أن فلسفة الخشت تنطلق كلها من مبدأ عقلاني نقدي منطقي تأويلي , تهدف من خلالها الى تحرير الخطاب الديني من لوث القديم الذي لم يعد قادرا على التعبير عن أسئلة الواقع الاسلامي. من خلال الرجوع الى المنبع الصافي آلا وهو الكتاب والسنة .

من أجل تحليل وتفصيل الفرضيات السابقة اعتمدنا على منهجين أساسيين: المنهج التحليلي النقدي والمنهج التاريخي.

أما المنهج التحليلي النقدي فهو من أجل تحليل أفكار الخشت التنويرية ونقدها والتعليق عليها وكذلك من أجل تحليل التنوير في فكر الخشت وبيانه وشرحه.

أما المنهج التاريخي فهو من أجل تقصي الحقائق التاريخية وبيان التنوير بصفة تاريخية وتوضيح كيفية تشكله في الفكر العربي عامة وفكر محمد عثمان خاصة.

إن الدوافع التي دفعت بنا لإجراء هذه الدراسة على هذا الموضوع ترجع إلى:

دوافع موضوعية:

1. لأنه أولا يعتبر من المواضيع الفكرية قليلة الارتياد.

2. تلح الضرورة الفكرية في وقتنا الراهن على الاهتمام بالشخصيات الفكرية الفلسفية التي أهملتها أقلام الباحثين إلى جوار الشخصيات الفكرية في وطننا العربي والإسلامي.

دوافع ذاتية:

1. جرأته الواضحة والمعلنة في موقفه من القضايا الفكرية عامة والسياسية خاصة والاهتمام بالشخصيات العربية المعاصرة, والذين قد لا يقلون بحال من الاحوال عن اخوانهم الفلاسفة.

وقد قسمنا الدراسة إلى مقدمة عامة وفصلين رئيسيين من أجل معالجة الإشكالية المطروحة سابقا وخاتمة وملخص للدراسة يتمثل الفصلين في:

الفصل الأول : جاء بعنوان نبذة عن حياة محمد عثمان الخشت, ثم يندرج ضمن هذا الفصل ثلاث مباحث المبحث الأول يتعلق بتقديم نبذة عن حياة الخشت وأهم أعماله وفكره ومنهجه, والمبحث الثاني هو متعلق بماهية التنوير ويندرج ضمن هذا المبحث مفهوم التنوير وأسبابه , بينما المبحث الثالث هو يتعلق الخلفية المعرفية لفلسفة الأنوار ويتناول بدراسة نشأة التنوير في العصر الوسيط ثم إلى الحداثة , واتخذنا نموذجين من التنوير , التنوير الفرنسي عند فولتير والألماني عند كانط , ويتعلق أيضا في تجليات التنوير في الفكر العربي.

الفصل الثاني: دراسة تجليات الفكر التنويري في مشروع الخشت, الذي يتضمن تجديد العقل, وكذلك التطرق إلى مفهوم العقل وأقسامه, وكذلك دراسة نشأة وتطور العقلانية, أما المبحث الثاني يتضمن دراسة العقلانية والتعصب وضمنه يتم التطرق إلى مفهوم العقلانية وأصولها ومبادئها, كذلك إلى دراسة التعصب من التطرف العلماني والديني.

بينما المبحث الثالث دراسة تجديد الفكر الديني بين الإمكان والاستحالة, والذي يتضمن مفهوم الدين, ونشأته وتجديد الخطاب الديني.

وفي تحليل هذه الدراسة واجهنا بعض الصعوبات متمثلة في عدم توفر مصادر محمد عثمان الخشت بصيغة **PDF** وحتى ورقية لم نستطع الوصول إليها؛ ورغم هذه الصعوبات التي واجهتنا لكن تم تذليلها بفضل أستاذنا المشرف أحمد زيغمي الذي كان خير عون لنا وسند.

ومن خلال هذه الدراسة برزت أهداف معينة تتمثل في:

1. محاولة تقديم رؤية جديدة للدين، والبحث عن منهج جديد لدراسة الأديان.

2. فهم أعمق لإشكاليات مجتمعنا المعاصر خاصة إشكالية الدين والسياسة.

3.تجاوز الصراع التقليدي وتطوير العقل الديني وتأسيس فلسفة جديدة للدين.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في تجاوز الصراع التقليدي وتقديم رؤية جديدة للدين، من خلال إعادة فهم الدين وتفسيره، تفسيرا عقلانيا نقديا من أجل مواجهة اشكاليات الوقت الراهن، وتحرير الانسان من قوقعة العقل المغلق على نفسه.

فاعتمدنا على بعض المؤلفات , منها ما هو مصدر أساسي في البحث كمؤلفاته وعلى رأسها كتابه " **مدخل إلى فلسفة الدين**" الذي مكننا من فهم الدين بشكل أوضح بالمقارنة بمفهوم العديد من الفلاسفة، وكذا كتابه " **العقلانية والتعصب** " والذي يعتبر بمثابة مفتاح أول لفهم العقلانية ومبادئها وأصولها، كما لا ننسى كتابه " **المشترك بين الأديان والفلسفة**"، والذي استفدنا منه العديد من الأفكار التي تتعلق بعلاقة الدين بالأخلاق والتي تم الاشارة اليها بشكل وجيز في هذه الدراسة.

وكذا كتابه " **الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**"، والذي من خلاله قمنا بتتبع النشأة الأولى للدين عبر مراحل تطورية.

ومنها ما هو مرجع يسعفنا في فهم أصول أفكاره , ويساعدنا في رسم صورة طريق البحث مثل كتاب" **عقلانية بلا ضفاف** " لمؤلفه غيضان السيد علي الذي يأخذ بدراسة الظاهرة الدينية والسياسية لدى الخشت , بالإضافة إلى كتاب "**الأسس الفكرية والمنهجية في الفلسفة الاسلامية المعاصرة** " للمؤلف محمد كيشانه , والذي يتناول بدراسة العقل والمنهج عند محمد عثمان الخشت والعديد من المراجع الأخرى التي دعمنا بها الموضوع الذي رسمنا له الخطة التالية:

وفي الأخير أقول وأؤكد أن هذا العمل ليس سوى محاولة متواضعة، حاولنا من خلالها طرح الأفكار المعاصرة وأهم القضايا التي تناولها الدكتور محمد عثمان الخشت في مشروعه التنويري التجديدي.

الفصل الأول:

نبذة عن حياة محمد عثمان الخشت

- ✓ المبحث الأول: تعريف بشخصية محمد عثمان الخشت
  - ➢ المطلب الأول: حياته
  - ➢ المطلب الثاني: مؤلفاته
  - ➢ المطلب الثالث: فكره ومنهجه
- ✓ المبحث الثاني: ماهية التنوير
  - ➢ المطلب الأول: مفهوم التنوير
  - ➢ المطلب الثاني: أسباب التنوير
- ✓ المبحث الثالث: الخلفية المعرفية لفلسفة الأنوار
  - ➢ المطلب الأول: التنوير في الفكر الغربي

    أولا: التنوير الفرنسي عند فولتير

    ثانيا: التنوير الألماني عند كانط
  - ➢ المطلب الثاني: التنوير في الفكر العربي

✓ **المبحث الأول:** التعريف بشخصية الخشت

➢ **المطلب الأول:** حياته

_ هو محمد عثمان الخشت (01 يناير 1964) ,مفكر وكاتب مصري, وأستاذ الفلسفة بكلية الآداب جامعة القاهرة; المتخصص في علم الأديان والمذاهب الحديثة والمعاصرة, وهو من موسوعي الثقافة، يجمع بين التعمق في التراث الاسلامي والفكر الغربي, تتميز مؤلفاته بالجمع بين المنهج العقلي, والخلفية الإيمانية.[1]

ولم يكن الدكتور محمد عثمان الخشت ممن يحرصون على غزارة الإنتاج, بل كان في عمله العلمي يغلب عليه الكيف على الكم, وكان في ذلك متسقا مع نفسه تمام الاتساق, فقد كان يبحث دائما عن النوعية في الحياة.

وكان الخشت رجلا فاضلا, ذا خلق رفيع, قبل أن يكون رجل علم ذا معرفة وافرة وثقافة واسعة, فلقد ترعرع في بيئة اسلامية صالحة وتشبع _ منذ صغره_ بتعاليم الدين الحني, فكان ذلك خير معين له على التماس طريق الحق والصواب في الفكر والسلوك.

ولقد لقب « بالفيلسوف الفقيه ».[2] بحيث كان من أهم معايير التفلسف لديه ظهور النزعة النقدية , فقد سعى في دراساته على المنهج النقدي , ويظهر هذا النقد جليا في كتبه مثل:" نقد فلسفة العقائد المسيحية عند ليبنتز, المعقول واللامعقول في الأديان وغيرها من الكتب, معتمدا في ذلك على أسس موضوعية .

---

[1] :غيضان السيد علي,**عقلانية بلا ضفاف(الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية في أعمال الخشت الفكرية)**,مراجعة وتقديم: عصمت نصار, دار الكتاب العرب, 2013,ص22.

[2] :عمرو شريف , **تجديد العقل الديني في مشروع الخشت الفكري**, تصدير: عمرو شريف , تحرير: د.غيضان السيد علي ,روابط للنشر وتقنية المعلومات ,دون سنة ,ص232.

➢ المطلب الثاني: مؤلفاته

لدى الدكتور الخشت العديد من المؤلفات التي تدرس في عدد من الجامعات, والتي تعالج العديد من فروع العلم ,كأصول الدين والفقه ومقارنة الأديان, وعلم السياسة والمجتمع المدن, وفلسفة المواطنة وغيرها من فروع العلم. وتكشف هذه المؤلفات على غزارة علمه وابداعه الموسوعي ومدى تعمقه الكبير في العلوم الانسانية والشرعية, كما تحاول هذه المؤلفات أن ترسي فهما جديدا ورؤية مستنيرة للعديد من القضايا والإشكاليات المعاصرة, مستندة في ذلك على منهج عقلاني ذو صبغة منطقي, له ما يزيد عن 50 كتابا, ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

1)- الكتب

أ)- الأديان المقارنة وفلسفة الدين

1988: حركة الحشاشين وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم.

1996: مقارنة الأديان (الفيدية , البرهمية , الهندوسية).

1998: فلسفة العقائد المسيحية

2001: مدخل الى فلسفة الدين

2010: تطور الأديان

ب)- المذاهب الحديثة والمعاصرة

1997: الدين والميتافيزيقا غي فلسفة هيوم.

1998: أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط.

2005: العقل ومابعد الطبيعة بين فلسفتي هيوم وكانط (رسالة ماجستير)

2006: المعقول واللامعقول في الأديان بين العقلانية النقدية والعقلانية المنحازة (رسالة دكتوراه)

2007: العقلانية والتعصب. [3]

ج)- مناهج البحث العلمي

---

[3] : غيضان السيد علي, مرجع سابق, ص28.

2007: فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية.

2007: كيف تكتب بحثا علميا؟

2010: مناهج البحث.

د)- المجال السياسي

2001: مستقبل الصراع العربي الإسرائيلي: استراتيجيات إقامة الدولة الفلسطينية .

2002: المجتمع المدني عند هيغل .

2006: المجتمع المدني والدولة.

2012: فلسفة المواطنة غي عصر التنوير (القرن الثامن عشر).

هـ)- المجال الاجتماعي

1987: المشاكل الزوجية

1989: المرأة المثالية في أعين الرجال(فن العلاقات الزوجية).

2004: أخلاق وسلوكيات التقدم.

و)- العلوم الشرعية

1985: الدليل الفقهي.

1985: حجة الوداع.[4]

---

[4] : المرجع نفسه,ص29.

➢ **المطلب الثالث:** فكره ومنهجه

أولا_ فكره

نستطيع من خلال استقراء كتب محمد عثمان الخشت أن نحدد مساره الفكري في اتجاهات شتى, فنجد« **لديه بعدا عقليا صِرفا, ومنطقيا فائقاً, وسياسيا مدني, واصلاحيا تنويرياً, وفقهيا معتدلا, وسلفيا عقيديا, وهذه الفروع كلها تؤلف المذهب العام لفكره»**.[5] وهذه الخصائص لا ينالوها إلا الأقلون.

بُني مذهبه الفكري على التعمق والبحث في المواضيع والإشكاليات والقضايا الغير مرتادة. وهو ما صنع شخصية الدكتور الخشت كما نعرفه الآن,لا يهاب من الولوج في المناقشات والمناوشات السياسية مثلا: فلقد ولج كذلك إلى أغلب فروع الفلسفة - إن لم يكن كلها على الأغلب- فحمل على عاتقه مهمة إيقاظ العقول وتنويرها,والابتعاد عن التقليد وتبني الرأي الحر.

وإذا أردنا فهم فلسفة الخشت بشكل أعمق وأدق وأكثر تفصيلا, وجب علينا من تحديد أسس نسقه الفكري. وهي على الشكل الآتي:

) – بناء فلسفة عقلانية

آمن الخشت بالعقل ودوره المحوري في إقامة صرح حضاري لأمة ترنوا إلى تبوأ مقعدها الملائم بين الأمم, فوقف وقفة المدافع عن الفلسفة العربية; ضد حملة الافتراء والتشويه التي تعرض لها. « **محاولا إبراز الوجه الحقيقي له ولفلسفته, من أجل بعث الأمة بعثا جديدا نحو التطور والارتقاء**».[6]

فبالعقل حلل وفسر ونقد وقارن , فكانت المهمة الأولى التي يتوق إلى فعلها هي:

- تحديد الموضوعات التي وجب معالجتها تحت تأثيرات حضارية وعقدية , تتطلع إلى أن يكون الفكر الإسلامي, مشاركا في صناعة العالم, متجاوزا بذلك كل الافتراءات التي تدعي أن الفلسفة العربية أو الفكر الاسلامي ,هي فلسفة يتخللها الجمود وتحاكي التقليد من خلال شرح ما هو مدروس أي الادعاء بعدم الإبداع وتوليد مواضيع واشكاليات جديدة.

---

[5] :المرجع نفسه, ص103.

[6] : نفس المرجع,ص104.

فوجب نتيجة لذلك نفض الغبار عن سواعدنا , تحقيق صحوة تنويرية تنتشل الأمة من واقعها المرير , من خلال العمل على إصلاح عقلي نقدي تنويري , يشمل شتى الميادين الاجتماعية والسياسية والفقهية والفكرية.. الخ.

فرفض محمد عثمان الخشت أن يكون في الأخير مقلدا للفلاسفة الغربيين , فراح يدرس تراثهم وينقد ما وجب نقده , فلم ينقد الخشت الفلسفة الغربية نقدا ذاتيا تتدخل فيه عقيدته وانتمائه العربي الاسلامي, بل أنه شيد بأعمال وافكار بعض الفلاسفة الغربيين, لكن أوضح رأيه الموضوعي كذلك في بعض المسائل والإشكاليات بشكل موضوعي , ويظهر نقده للفلسفة الغربية , من خلال العديد من أعماله ولاسيما تلك التي أوردها في أبرز كتبه التي نذكر منها على سبيل المثال:

1.أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط

2.العقلانية والتعصب

3.الميتافيزيقا _ قراءة نقدية_

4.المعقول واللامعقول في الأديان (بين العقلانية النقدية والعقلانية المنحازة).

ب)_ <u>المساهمة في بناء منطقي منهجي</u>

من مؤلفات الخشت العديد العديدة في شتى المجالات والميادين, نجد مؤلفا واحدا في المنطق آلا وهو" **مناهج البحث** ".[7] وهو المؤلف الذي أراد به الخشت تقديم مناهج العلمية الحديثة في البحث.

كان من الأسس المهمة التي ارتآها الخشت لبناء اتجاهه الفكري بناء منطقي ومنهجي لفلسفته, وقدم بديلا عن المنطق القديم لأرسطو, هو لا ينقد في الحقيقة المنطق الأرسطي لكن يعتبه يلائم حقبة زمنية معينة, وأنه لابد من يواكب العصر ويتناسب مع معطيات الوقت الراهن.

وبالتالي فلم يعطي الخشت قدرا كبيرا من الأهمية لتتبع مجرى سريان هذا المنطق العقيم الشكلي في كل العصور خاصة العصور الوسطى , بل اكتفى بالتركيز على هذا المنطق الجديد , من أجل ضمان التقدم العلمي والحضاري , الذي يأخذ بأيدي البشرية نحو آفاق علمية جديدة, كما كان يهدف الخشت إلى غرس دعائم البحث العلمي في المجتمع , فمن خلال مؤلفه «**كيف تكتب بحثا علميا؟**» , يجعل

7:المرجع نفسه,ص105.

الباحث وجه لوجه للتعامل مع النصوص الأصلية أي مثلا فتعامل مع نص كانط فكأنك تحاور كانط في حد ذاته.

ج)_ بناء نسق فلسفي معتدل

وهي ثالث الصفات التي يمكن استخراجها من انتاج الخشت الفكري , فمن خلال كتابيه « **تطور الأديان قصة البحث عن الإله», وكتاب « العقائد الكبرى بين حيرة الفلاسفة ويقين الأنبياء»** . [8]

لقد انشغل الخشت في إعلاء قيمة العقل, كونه جوهر سامي, واتخذه كقاعدة لفهم الدين, فقام بدراسة الأديان كالمسيحية واليهودية والهندوسية وقارن بينها, فعمل على تقديم الاسلام عن باقي الأديان الاخرى , وهذا ليس لأنه يعتنق الديانة الإسلامية, بل لأن الدين الوحيد الذي يعمل ويعلي من شأن العقل هو الاسلام.

ومن الواضح أن الخشت قد سطر أهدافا سعى إلى تحقيقها يمكن إجمالها فيما يلي:

- عمل على إعطاء قراءة جديدة للدين , تتميز بالعلمية والموضوعية.
- أخضع العقل للدين أي جعل العقل في خدمة فهم الدين وليس العكس صحيح, فلا شيء يعلو عن الدين.

هـ)_ التأسيس لاتجاه فقهي تنويري

لقد أسس الخشت لمبادئ يحتكم إليها الدارسون , فعمل على التأسيس لاتجاه فقهي تنويري , بغية القضاء على الاستبداد في الحكم والرأي , مع مراعاة الظروف والمتغيرات التي طرأت على عصرنا والبحث عن حلول تمنع الناس من التخبط.[9]

فكانت له دعوة تنويرية فقهية إصلاحية، دعا فيها الخشت إلى التمسك بأصول الدين الحنيف، بعد رؤية الواقع المرير للمسلمين, من ضعف الأخلاق وانتشار الرذائل وانحلال القيم وتفكك المسلمين.

فاستند الخشت في مواقفه الفكرية العقدية على العقل والدين, لأنهما الأساس الذي يستند إليه, ويظهر ذلك جليا من خلال أعماله:

---

[8] :غيضان السيد علي, مرجع سابق ,ص106.

[9] : **نفسه,** ص110.

- ❖ الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم
- ❖ مدخل الى فلسفة الدين
- ❖ تطور الأديان
- ❖ مقارنة الأديان

وهذا التأثر بالدين دليل واضح على مدى تعمقه فيه, فهو ينطلق من منطلق ديني مصبوغ بصبغة عقلية ,إلا أنه لا يعلي من قيمة العقل على حساب الدين.

فأراد بذلك إقامة صحوة قائمة على مبدأين أساسين وهما:

- ✓ قائمة على الدين
- ✓ على نظام سياسي عادل.

لأنه يعتبرها نهضة دينية سياسية ,أي إيقاظ الشعوب المستعمرة او حتى المستقلة النهوض من سباتها, خشية الوقوع من جديد في قبضة المستبد, وهي دعوة للتخلي عن مظاهر التخلف والتفكير الرجعي الذي استوطن عقول الشعب.

و)ـ <u>بناء مجتمع مدني</u>

لبناء مجتمع مدني يحدد الخشت بعض الشروط:

- ➢ إحداث قطيعة معرفية ابستمولوجية مع الفكر التقليدي الرجعي.
- ➢ انفصال الدين عن الدولة أي تحقيق اللا دينية والتي تعني عدم إقحام الدين سياسة الدولة.

فاللادينية هي « روح المجتمع المدني, ولا يمكن تحقيقها إلا في درجة جذرية من انفصال الدين عن دولة وهذا مالا يمكن حدوثه إلا في ظل سيادة العقلاني, واستقلال المجتمع المدني عن السلطة الدينية,واستقلال السلطة الدينية عن السلطة الزمنية والعلمانية عن الظلامية».[10]

- ➢ تحقيق الديمقراطية وقيم التسامح والعدالة و الاعتراف بالتعددية والاختلاف.

---

[10] :المرجع نفسه, ص **45**.

ان المجتمع المدني له صلة وثيقة بالمبدأ الفقهي فالخشت يؤمن بالتعددية والمساواة, لأن هذه الأدوات العقدية يستنتجها من الموروث الفقهي من خلال النصوص الدينية , فيمكن القول أن فلسفته قائمة على تطبيق الدين الحنيف.

كما يؤمن الخشت بالديمقراطية والتعددية والحرية وأن غياب ما سبق يؤدي بنا إلى التخلف والوقوع في الحضيض.

من ثم فإن المجتمع المدني الحديث في العالم العربي يتطلب « **تحقيق للقطيعة المعرفية والإبستمولوجية مع النظام المعرفي القديم , وأساليب التفكير التقليدية غير العلمية السائدة عربيا».**[11]

فالمشكلة في نظر الخشت تكمن في تركيبة العقل البشري, المحمل بالميثولوجيا محمل بالأوهام وتفسيرات التقليدية شديدة التعقيد, فيرى أنه من الضروري تجاوز الإرث القديم وأساليب التفكير القديمة, الغير قائمة على مناهج علمية من أجل بناء مجتمع مدني حيث يسود فيه الديمقراطية وقيم التسامح والحرية... الخ.

ثانيا: منهجه

يتبع الخشت في صرحه الفكري والفلسفي على المنهج العقلي في فهم وتفسير القضايا والإشكاليات المختلفة, وإن الفاحص المتمعن في كتب النقدية للخشت – نقد الفلسفة الغربية– تتوضح لديه الصورة عن منهجية الخشت الفكرية.

فالعقل عنده هو الأساس الذي يستند إليه في حل القضايا ; فأراد بذلك اتجاها فقهيا تنويريا منطقي يقوم في صلب جوهره على العقل ,فسار وفق منهج محدد بخطى ثابتة , فقد استند على المنهج العقلاني النقدي في العديد من كتبه على سبيل المثال: المعقول واللامعقول في الأديان, تطور الأديان , نحو تأسيس عصر ديني جديد,العقل وما بعد الطبيعة...الخ .

معتمدا على أسلوب مباشر وعميق , فهو من أصحاب المواقف الفلسفية العقلانية النقدية , ذات الصبغة الموضوعية المنطقية متسلحا بآليات عقلانية في دراساته : كالتحليل والتقييم والمقارنة والتأويل.

---

[11] :محمد أحمد علي مفتي, **مفهوم المجتمع المدني والدولة المدنية (دراسة تحليلية نقدية)**,مجلة البيان للبحوث والدراسات ,الرياض ,1714,ص31-32.

ومن لوازم العقل العقلانية , وهي دعوة على استخدام العقل الذي ميز به الله تعالى الانسان عن الحيوان, ويتأسف الخشت على الأناس الذين لديهم هذه الميزة ولا يستغلونها ", وكثير من الناس الذين يستخدمون عقولهم بشكل خاطئ لأنهم لا يعرفون طريقة التفكير الصحيحة ,أو لأنهم يغلبون أهواءهم ورغباتهم ومصالحهم السريعة على أحكام العقل".[12]

تمهيد

* شهد القرن الثامن عشر , حركة أطلق عليها أصحابها بتسمية: " عصر العقل أو التعقل" أو "عصر التنوير" , وهي حركة فلسفية أوربية محض, ذات مذهب عقلاني, يحمل في طياته شعار :" لا سلطان على العقل إلا العقل" , جاءت هذه الحركة بعد المذهب الانساني وحركة النهضة الأوروبية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر, تهدف إلى إعادة توجيه الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية في أوروبا , وتؤمن بإمكانية صلاح حال الانسانية من الاستبداد الكنسي , الذي كان يفرض هيمنته على

[12] : محمد عثمان الخشت , **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص03.

جميع الأصعدة , ويكبل الحريات , فجاءت هذه الحركة كرد فعل طبيعي إنساني على كل ما هو قائم , فهي عبارة عن عملية خلاص الانسان من التفكير الساذج والرجعي اللاهوتي الذي كان سائدا آنذاك.

والواقع أن حركة التنوير لم تقتصر على أوروبا فقط , بل انتشرت إلى جميع بقاع العالم , عن طريق حركة الترجمة, فتعتبر مسألة التنوير من أهم المسائل التي اهتم بها الفلاسفة والمفكرون, وشكل النقاش الدائر حول خلفية تشكل عصر التنوير محل بحث وتقصي. فبعد ما عايشته القرون الوسطى من ويلات الحروب والأوبئة وانتشار الجهل والخرافات والأساطير, كان دافعا قويا ألزم الفلاسفة والمفكرون من أن يوحدوا صفوفهم وأفكارهم ومبادئهم, وأن يعلو صوتهم على كل استبداد وتقليد, وأن يرفعوا راياتهم باسم حرية الرأي والفكر. وقبل الغوص في طرح هذه القضية والحفر في ظروف ميلادها وبواعثها وأهدافها المنشودة وجب أولا, ضبط مفهوم التنوير لننتقل بعده إلى التساؤل عن الأسباب التي مهدت لظهور عصر التنوير وقيام ثورة على ما هو قائم وسائد في شتى مجالات الحياة الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

كذلك لابد من التعرف على أبعاده الزمانية والمكانية, والوقوف عند هذا المبحث لتوضيح ظروف نشأة التنوير,وتبيان علاقة التأثير والتأثر المجتمعات العربية الاسلامية من الثورة الفرنسية.

- ما التنوير؟ وماهي أسباب وظروف نشأته؟
- وما هو دور الفلاسفة في قيام الثورة الفرنسية؟.

المبحث الثاني ماهية التنوير

المطلب الأول: مفهوم التنوير

لابد لنا قبل التطرق للحديث عن التنوير كمصطلح ثقافي أو فلسفي , وجب علينا أولا التعرف على معنى التنوير في اللغة وفي التراث الاسلامي.

- **<u>التنوير لغة</u>** :

التنوير في اللغة العربية مصدر الفعل المضعف (نور) , والفعل نور معناه أضاء ,يقال نور الله قلبه : يعني هداه إلى الحق والخير.

والتنوير هو وقت إسفار الصبح يقال: قد نور الصبح تنويرا. والتنوير هو الإنارة . وقد يعني التنوير: الإسفار, وفي حديث هو مواقيت الصلاة: أنه نور الفجر أي صلاها .أي صلى الفجر في التنوير أي صلى الفجر في وقت الإسفار.[13]

ووردت في الشرع لفظة " النور" لتدل على الإيمان , يقول الله – تبارك وتعالى (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) (سورة البقرة:257.)

ويرد في شرح هذه الآية تفسير محمد الطاهر بن عاشور في كتابه " **تفسير التحرير والتنوير**" , أن المراد بلفظة النور هو نور البرهان والحق, وبالظلمات الشبهات والشك, فجعل النور والظلمات تشبيها للإيمان والكفر .[14]

وجاء في المعجم الوسيط استنار بمعنى أضاء. ويقال استنار الشعب أي صار واعيا مثقفا وبه استمد شعاعه, وعليه ظفر به , وغلب, ونور الله قلبه هداه إلى الخير الحق.[15]

بمعنى أن التنوير هو خروج الإنسان من الجمود والجهل والظلام الذي يعيش فيه , إلى حالة من الوعي والإدراك والنور , بواسطة العقل , وهذا الأخير هو الوحيد القادر على أن يحدث تغيرات جذرية لكل ما هو سائد من تفكير رجعي أسطوري لاهوتي كنسي, والإنسان المتنور هو الانسان الواعي المثقف, الذي لديه القدرة على الفهم والتحليل والنقد.

- التنوير اصطلاحا

---

[13] : ابن منظور , **معجم لسان العرب,** دار إحياء التراث العربي, (د.ط), بيروت, 1999,ج5, ص2040.

[14] : محمد الطاهر بن عاشور**, تفسير التحرير والتنوير,** ج , الدار التونسية للنشر والتوزيع,(د.ط) ٬تونس ,1984 ,ص30.

[15] : المعجم الوسيط , **مجمع اللغة العربية ,** مكتبة الشروق الدولية, ط4, القاهرة, 2004, ص962.

يعد مصطلح التنوير(*) مصطلح شائع في الحياة الفكرية,بأنه أوروبي النشأة والمضمون , وهو يعبر بذلك عن نسق فكري ساد في مرحلة تاريخية من مراحل الفكر الأوروبي الحديث. إلا أن جذوره امتدت إلى العالم ككل , لتشمل بذلك العالمين العالم العربي و العالم الغربي, نتيجة لعدة عوامل ومتغيرات , مما حال دون شك إلى اختلاف زوايا النظر حول الفلاسفة والمفكرين, في تحديد الاصطلاحي لهذا المفهوم.

ارتبط مصطلح التنوير بالمجتمع الأوروبي في القرن الثامن عشر, مرتبطا بحركة إنسانية عقلانية تدعوا إلى خروج الانسان من العجز والكسل والظلام الذي يسيطر عليه, وتحريره من قيود أي سلطة.

فيرى الباحث البلجيكي البروفيسور رولان مورتييه, " **أن القرن الثامن عشر هو أول عصر في التاريخ يشعر بذاتيته, وكيانيته, ووحدته, كما يشعر بأنه مكلف بتأدية رسالة مهمة للبشرية هي: التنوير."**[16]

ولعلى من بين أهم التعريفات, هو ما أورده الفيلسوف **الألماني كانط** (*) في مقال نشره **عام 1784م** , بعنوان " **ما التنوير؟". يقول:** " إن بلوغ الأنوار هو خروج الإنسان من القصور الذي هو مسؤول عنه , والذي يعني عجزه عن استعماله عقله دون إرشاد الغير ".[17]

---

[16] :هاشم صالح**, مدخل الى التنوير الأوروبي**, دار الطليعة للطباعة والنشر, (ط1) ,بيروت, 2005, ص138.

(*):فلسفة الأنوار أو حركة التنوير (Philosophie des lumières): هو حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر تتميز بفكرة التقدم, والشك في التقالي, ومعارضة الدين, والايمان بالعقل, والدعوة إلى التفكير الذاتي والتفاؤل بتأثير التعليم في الاصلاح الأخلاقي .

انظر: جميل صليبا**, المعجم الفلسفي,** ج2, دار الكتاب اللبناني, (د.ط),بيروت,1982, , ص511.

[17] : ايمانويل كانط**, ما الأنوار؟**. ترجمة: محمود بن جماعة , دار محمد علي للنشر ط1, تونس,200م,ص85.

*** كانط ايمانويل Kant Emmanuel** (1724–1804): فيلسوف ألماني من أسرة برجوازية ,درس في كلية اللاهوت ركز اهتمامه على دراسة الفلسفة والطبيعيات بإشراف مارتن كنوتزن,قدم رسالته الأولى في المبادئ الأولى للمعرفة الميتافيزيقية, وتقدم برسالة أخرى بعنوان الموناد ولوجيا الطبيعية. من **مؤلفاته:** "نقد العقل الخالص" 1783, نقد العقل العملي" 1788,"أسس ميتافيزيقا الأخلاق"1785م , "نقد ملكة الحكم1790م, **انظر**: جورج طرابيشي, **معجم الفلاسفة**, مرجع سابق ,ص 513–517.

وهذه عبارة واضحة من كانط تحث على أن الراغب في الوصول الى التنوير هو مسؤولية الانسان اتجاه نفسه أولا , تتجلى هذه المسؤولية في أن يخرج الانسان نفسه , من المأزق الذي وضع نفسه فيه ضمن التقاعد والتكاسل والعجز, فعملية التغيير – بحسب كانط– تبدأ من الذات . فهناك مصلحة من إبقاء الناس في قصورهم وعجزهم , لأن هذا يحقق للفئة الأخرى قوة وسيطرة , فمادام هناك انعدام في التفكير, فهناك حتما تبعية ضعيف لأقوى , و جاهل لعاقل , لأنهم يجدون صعوبة في ترويض من يعمل عقله. وبالتالي فشعار التنوير هو : "كن جريئا في استعمال عقلك أنت !" .[18]

ولقد كان تعريف كانط للتنوير قد لاقى رواجا كبيرا , لدى العديد من المفكرين والفلاسفة , كما لاقى اعجابا كبيرا من المجتمع في حد ذاته , وهذا ما نجده جليا في فكر كل من جون ستيوات ميل , وصولا إلى ميشيل فوكو, وجاك دريدا , ويورغن هابرماس..الخ.

لكن يبدو لنا تعريف كانط للتنوير يشمل جانب جزئي فردي , أي أنه يخص الإنسان فقط , وليس التنوير كحركة فكرية إنسانية , برزت في المجتمع الأوروبي , وأنتجت لنا نموذجا جديدا لمجتمع واعي مثقف عقلاني , لديه القدرة على التحليل والفهم والاستعاب والنقد, بغية التقدم والتطور والتحرر من كل سلطة .

إن من الضرورة الملحة عند البحث عن تعريف لمفهوم ما , لابد من البحث عن التضاد لهذا الاشتقاق, لكي نقارن بينهما, فالتنوير أو الأنوار كما سبق شرحه مشتق من مصدر النور, والنور يضاده الظلام, وهو يشبه نوعا ما, الأضداد التالية: (الخيرو الشر, المعرفة والجهل, الحقيقة والخطأ), فيبدو أن هذا المصطلح فالحقيقة كان ذو منشأ ديني في الأساس, قبل أن" **يتعلمن على يد الفلاسفة في عصر العقل**"[19]. فكان يصف الله خالق النور, وقد ذكر في العديد من الكتب المقدسة كـ " سفر التكوين", وفصل بين الظلمات والنور.

---

[18] : ايمانويل كانط , ما الأنوار؟, مصدر سابق, ص85.

[19] : هاشم صالح, مدخل الى التفكير الأوروبي ,مرجع سابق , ص139.

ولعلى أول من استخدم مصطلح التنوير في شكله الحديث منفصلا عن شكله الديني هو ديكارت (1597-1750), في حديثه عن " النور الطبيعي, الذي يقصد به مجمل الحقائق التي يتوصل إليها الانسان عن طريق استخدام العقل فقط". [20]

وظل هذا المصطلح مرتبط بالدين, ولم يتجرأ أن يذهب بعيدا عن ذلك فحتى ديكارت نفسه , لم يكن معاديا للدين , ومن بعده ليبنتز(1646-1716), الذي يمشي على نفس خطى ديكارت, الذي يرى أن العقل هو سلسلة من الحقائق التي نعرفها بواسطة النور الطبيعي, الذي يهبنا الله إياه. ومن تلامذة ديكارت كذلك نجد مالبرانش (1638-1715), الذي جمع بين عقلانية ديكارتية و الخلفية الايمانية. يقول" نحن ندعوا الروح عقلا عندما تفعل بذاتها, أو بالأحرى عندما يفعل الله فيها عن طريق النور الذي يضيئها". [21]

كل هذا وذاك مهد لاندلاع ثورة كبرى, تعتبر من بين أكبر الثورات في التاريخ, لأن تأثيرها لم يقتصر على فرنسا فحسب. وإنما شمل كل أنحاء أوروبا والعالم.

وبالتالي يمكننا أن نحاول أن نبني - بشكل أوضح- تصور أكثر دقة عن مفهوم التنوير من خلال تحديد أهم المبادئ والأسس التي يقوم عليها والتي يمكن إجمالها في الآتي:

* هدم راية سلطة الكنيسة وجعل العقل فوق كل شيء.

* الايمان بقدرة الانسان بشكل عام.

* تغليب النظرة التجريبية الحسية على الميتافيزيقية المتعالية.

* النزعة الانسانية

---

20 : المرجع نفسه, ص139.

(*):النور الطبيعي Lumière naturelle: هو العقل الفطري من جهة ما هو مجموعة مبادئ بديهية لا يتطرق إليها الشك, تفرض نفسها على الذهن مباشرة عند توجيهه اليها. ولهذا الاصطلاح جذور قديمة, منذ القديس اوغستينوس الذي يسمي العقل نورا طبيعيا وابن سينا يسمي العلم الحاصل في النفس نورا أو ضياءا. **انظرا:** جميل صليبا, المرجع نفسه ,ص510.

21 :المرجع نفسه, ص140.

* اخضاع المعتقد الديني للنقد , فالتنوير هو إحياء ثقافي يؤمن بنشر الثقافة النقدية , وإحياء كذلك المعرفة العلمية,إنه عصر التجربة, وبذلك سار التنوير من أجل مجتمع عقلاني وعلمي تجريبي تتحقق فيه قيم الحرية والعدالة والمساواة والتسامح.

➢ **<u>المطلب الثاني</u>:** أسباب التنوير

لقد كان التنوير عبارة عن تيار عقلاني حرك أوروبا في القرن الثامن عشر, نحو عصر جديد ينعم بالتطور والإرتقاء والنمو , على جميع أصعدة الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية ..الخ , وانتشر بذلك في كل أرجاء أوروبا إلى المستعمرات الأمريكي, والى العالم ككل , فكانت هناك العديد العوامل والظروف والأسباب التي ساهمت في ظهور عصر التنوير أو الأنوار الإستنارة ومن بين أهم هذه الأسباب نجد مايلي:

❖ تولي الملك لويس الثالث عشر (1701-1743) , ولويس الرابع عشر(1738-1715),ولويس الخامس عشر, ولويس السادس عشر (1754-1793), قد جعل من باريس عاصمة الثقافة في العالم , وخلق في ذات الحين جمهورا يهدف الى الاصلاح في التنوير الفرنسي.[22]

❖ انتشار الحياة الثقافية من خلال الصحافة والمقاهي والنوادي , فأصبحت بذلك المقاهي مكان لعقد الاجتماع لتبادل الأفكار, والصحف والمجالات أصبحت متاحة , وهو الوقت الذي ألف فيه جون لوك كتابه " مقال عن الفهم البشري"(1790), الذي كان المعتقد الفلسفي عن معظم مفكري عصر التنوير.[23]

فلقد تأثر العديد من مفكري عصر التنوير بآراء جون لوك التجريبية , وأصبحت مقولته الشهيرة " الذهن يولد صفحة بيضاء" , قد انتشرت بشكل واسع في أنحاء أوروبا.

❖الظروف التاريخية التي عايشتها أوروبا , فلم تقتصر سيطرة الكنيسة على الحياة الدينية فحسب, لتسيطر بذلك على جميع مجالات الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية.. الخ , في حين يعتبر من يخالف تعاليم وقوانين الكنيسة ينفى أو يعدم, لذا جاءت حركة التنوير كرد فعل على جبروت الكنيسة ورجال الدين, التي تمارس سيطرتها تحت الادعاء;" التفويض الإلهي " , فقام العلماء وبحثوا

---

22 : ليود سبنسر ,**<u>عصر التنوير</u>**, ترجمة :إمام عبد الفتاح , المجلس الأعلى للثقافة, ط1 , القاهرة, 2005, ص14.
23 :المرجع نفسه, ص20.

عن صحة معتقدات والآراء التي تمليها الكنيسة فوجدوا أنها مجرد خرافات واستغلال للناس لصالحهم لا يثبت أمام العلم والمنطق في شيء , فأعلنوا ثورتهم على هذه الخرافات والأساطير التي كبلت إرادتهم وعقولهم لسنين. أدى بالتالي بالمفكرين الى ضرورة الخروج من القفص , والتفكير خارج الصندوق المظلم, واطلاق العنان للأجنحة في الهواء الطلق, لعصر جديد يكون فيه الانسان سيدا لنفسه من خلال حسن استعماله لعقله.

- ❖ بينما المواطن الأوروبي يعيش في تقشف من أمر من رجال الدين الذين يأمرون الناس بالزهد في الدنيا, مقابل ذلك نجد أن رهبان يعيشون حياة النعيم والرفاه , بينما الشعب يعيش في تقشف. هم يريدون تنازل الانسان عن الحياة وتكريسها فقط لخدمة الكنيسة.

➢ المبحث الثالث: التنوير في الفكر لغربي

تطلبت ضرورة البحث, التركيز على الجانب التاريخي, الذي يوضح الخلفية التاريخية التي أنتجت فيها أفكار التنوير , ووصف الظروف الاجتماعية التي مهدت لظهور عصر متفتح متنور فمن أجل فهم الحداثة لابد من فهم التنوير, ومن أجل فهم التنوير يتطلب فهم النهضة , ومن أجل فهم هذه الأخيرة

لابد من فهم العصور الوسطى. وبالتالي فقبل أن نتطرق الى فهم التنوير لابد من أن نعود إلى الوراء لكي نتحدث عما كان سائدا سابقا: أي القرون الوسطى, فمن خلال الصراع والخلاف مع هذه القرون ولدت الحداثة.

وبالتالي لا يمكننا فهم المعارك والصراعات الفكرية التي أدت إلى أزمة الوعي الأوروبي, ما لم ندرس الفضاء الفكري الذي ساد تلك العصور.

أ)- عقلية القرون الوسطى (هيمنة الوعي الأسطوري على الوعي التاريخي)

ويجدر الإشارة في البدأ إلى أن العصور الوسطى (*), يشكل الفترة الوسيطة التي تفصل بين الحضارة اليونانية – الرومانية.[24] وبين العصور الحديثة, خلال العصور الوسطى كان المواطن الأوروبي يعيش حياته ضمن ظروف وخصائص معينة, ومن بين هذه الخصائص:

- التسليم التام للكنيسة أي يسلم نفسه وعقله بشكل كامل للكنيسة , باعتبار أن الكنيسة هي الوسيط بينها وبين الله. فأي أوامر من الكنيسة هي بمثابة أمر من عند الله يجب الامتثال والخضوع التام له.
- المواطن الأوروبي يتبنى فكرة الخطيئة وكل ما يريده هو صكوك الغفران فالكنيسة تزرع في عقول المواطنين أنهم لابد لهم من تقديم ولائهم والثروات للكنيسة من أجل أن يمنحون بالمغفرة.
- كما أن المواطن الأوروبي في العصر الوسيط, عادة ما يصدق الخرافات والأساطير, فحرفت الكنيسة الإنجيل, وأدرجت ضمنه القصص والخيالات كل ما يخدم مصالحها الخاصة.

وهنا يقول إيتيان جيلسون, أحد أكبر مؤرخي الفلسفة في العصور الوسطى :" كما أن فكر الفيلسوف في أيامنا هذه لا يمكن أن يتم إلا على قاعدة المبادئ العامة للعلوم التاريخية والاجتماعية, فإن فكر الفيلسوف في العصور الوسطى لم يكن يتم إلا على قاعدة العقيدة اللاهوتية المسيحية"[25]

---

24 : هاشم صالح, **مدخل إلى التنوير الأوروبي**, مرجع سابق,ص15.

(*): تشكلت الفترة الوسيطة – إذا استخدمنا لغة علماء الجيولوجيا أو الأركيولوجيا – بعد انهيار الحضارة الرومانية وانتصار المسيحية , والتي استمرت (القرون الوسطى) منذ سقوط الحضارة الرومانية في الغرب عام476م إلى سقوط الحضارة البيزنطية في الشرق على يد الأتراك عام 1453م.(بمعنى انها استمرت ألف عام). ثم جاءت بعدها طبقة الحداثة التي لا تزال مستمرة منذ أربعة قرون وحتى اليوم. **انظر**: هاشم صالح , المرجع نفسه,ص15.

25 : هاشم صالح, **مدخل الى التنوير الأوروبي**, مرجع سابق,ص20.

هيمنت في القرون الوسطى عقلية دينية أي أن كل شيء لابد أن يخضع إلى الإيمان المسيحي, وتبلورت هذه الهيمنة على الساحة, بالإضافة نقطة جد محورية تمكننا من فهم النظام الذي سارت عليه القرون الوسطى وهي: أولوية المعرفة اللاهوتية .وهنا يلخص لنا روجيه بيكون هذه النقطة في قوله :" لا يوجد إلا علم واحد, كامل وتام أعطاه الله للإنسان من أجل التوصل إلى غاية واحدة : هي النجاة في الدار الآخرة .. وهذا العلم كله متضمن في الإنجيل, وكل ما هو مضاد لهذا المقدس أو غريب عنه فهو خاطئ ولا معنى له"[26].

وهذه الرؤية هيمنت على عقلية القرون الوسطى, وباسمها أدانت المحكمة الكهنوتية غاليلو,لأنه في اعتقادهم أنه بأفكاره الجديدة سوف يشكل خطرا على سلطتهم.

لذلك يمكن القول أنه ساد في العصور الوسطى اضطراب فكري,كون أن التفكير آنذاك مقيد مستعبد من طرف الكنيسة. فقد كانوا يميلون إلى التعصب وبالتالي إلى الدوغمائية في الفكر. بالإضافة إلى ذلك كما سبق الإشارة أنهم بعيدين كل البعد عن الواقع الحسي يؤمنون بالغيبيات والمعجزات, وكل هذه الأفكار جاءت مضادة للفكر العلمي , فهي بلورة عقلية جامدة خائفة مترددة تنصاع للأوامر فقط, فلم تكن قادرة على تقديم أي جديد إلى مجال العلم والتقدم ,وما السبب في ذلك؟

إنها الكنيسة المسيحية . وذلك لأن الثقافة كانت محتكرة كليا في أيديها, وهذا هو السبب الذي جعل فلاسفة التنوير يشنون حربا على الكنيسة, وجعلهم أعداء للعقل وللعلم, معتبرين أن كل ما مر على الشعب من ظلام وجهل وصراعات من جراء خداع الكنيسة لهم. ويمكن القول أن عامة الشعب آنذاك ظلوا يعيشون تحت وطأة الأسطورة والخرافة الخيالية الرمزية والمعتقد الديني الكنسي لعدة قرون, حتى انتصرت العقلانية فيما بعد, وأخذت نخبة من المثقفين والمفكرين والفلاسفة في التحرر شيئا فشيئا من الظلام.

ورافق دخول هذه العقلانية الفلسفية , ظهور الجامعات, وتطور المدن وازدهار الفعالية التجارية,وفي هذا يقول دوركايم مؤسس علم الاجتماع :" لقد أدخلت المنهجية المدرسانية(أو السكولائية)...لقد قدمت لنا تلك الفترة المعذبة والمقلقة مشهدا مأساويا... كانت تتراوح بين الرغبة في

---

[26]: نفسه,ص21.

البقاء مخلصة للكنيسة المسيحية , وبين الحاجة المتزايدة للفهم والتعقل... فالحصاد جاء فيما بعد, في العصور التالية, وسط الفرح وبهجة الشمس, وفي عز تألق القرنين السابع عشر والثامن عشر"[27]

فلا يمكن فهم عقلية القرون الوسطى إلا في خضم الصراع بين هذين التيارين: التيار الإيماني الناسك الزاهد, والتيار العقلاني أو العلماني الدنيوي , وانتصار هذه الأخيرة في القرن الثاني عشر, فبدأ استخدام العقل من أجل الكشف عن مسببات بعض الظواهر, وفي هذا الصدد يقول غيوم الكونشي (1080-1145),أحد أوائل ممثلي الاتجاه العقلاني في المسيحية الأوروبية:" بما أنهم يجهلون قوى الطبيعة فإنهم يريدون أن ينضم الجميع إليهم في جهلهم هذا. إنهم يرفضون كل بحث أو تقص عن الحقائق ويريدوننا أن نؤمن بشكل ساذج على طريقة الفلاحين" .[28]

أي أنه لا يجدر البحث عن أسباب الظواهر وعللها,وأن الذي يتجرأ على القيام بالبحوث والدراسات التجريبية, فيتهمونه بالزندقة وبالتالي يعدم أو ينفى أو يحرق. مثلما كان الحال مع غاليلو.

فكانت هذه الفترة تتصف بالاضطرابات الاجتماعية والسياسية. والتي أثرت بشكل كبير على أوروبا بشكل عام,وفرنسا بشكل خاص. وانهار من خلالها النظام الملكي,ورفع بما يسمى بمبادئ التنوير,وهي المساواة والعدالة والحقوق والمواطنة والحرية والديمقراطية...الخ,وبرز العديد من الفلاسفة والمفكرين من بين أبرزهم جون جاك روسو ,الذي يعتبر منظر الثورة الفرنسية,بالإضافة إلى كل من فولتير ومونتيسكيو ...الخ,ولقد أثر هؤلاء الفلاسفة جميعا بشكل كبير على الشعب الفرنسي الذي قام بالثورة الذين حملوا على عاتقهم مهمة إيقاظ أوروبا من الظلام ومحو الأفكار التقليدية ,والحط من سلطة الكنيسة الكاثوليكية المسيحية.

يقول **فريدريك هيجل :" بعدما يتم التخلص من كل التعصبات والخرافات, يبرز السؤال.. وماذا بعد؟ ماهو اليقين الذي ينشره التنوير في مكان هذه التعصبات والخرافات؟".**[29]

---

[27] : هاشم صالح, <u>مدخل إلى التنوير الأوروبي</u>, مرجع سابق,ص30.

[28]:نفسه,ص32.

[29]: نفس المرجع, ص123.

يمكن القول أن التنوير الفرنسي جعل من العقل والعلم, سلما للخروج من بؤرة الظلام الذي كان سائدا في أوروبا عامة وفرنسا خاصة. كون أن العقل أداة جوهرية , تدل على التوجه الصحيح, واستنباط الحقائق والافتراضات, بينما العلم هو الاعتماد على التجربة , والاختبار والفحص. فقد بنى التنوير قاعدته على هاتين الآليتين, فضلا على الاهتمام بحقوق الانسان, فكل ما هو غير إنساني , هو غير منطقي وغير أخلاقي , ونشر قيم ومبادئ الأخلاق.

الإنسان كان هو الهدف الأول والأخير عند الفلاسفة الفرنسيين وغيرهم, فاتخذوا من الانسان مادة للدراسة والبحث , وهذا ما دعا جون لوك إلى تأليف كتابه :" مقالة في الفهم البشري" ,والذي اعتبره البعض نقطة انطلاق التنوير في الغرب , فاعتبروا من آرائهم ومواقفهم كمرجع لهم, ولذلك يمكن اعتبار أن الثورة الفرنسية وليدة فكر الأنوار, كما اعتبرت نموذج ثوري للشعوب ضد الطغيان والملكية الاستبدادية وأنظمة الحكم الفردي.

لقد أثرت الثورة الفرنسية بشكل كبير على الدول والشعوب الأوروبية, بحيث كان شعارها الحرية والإخاء والمساواة لذلك نجد أن الثورة الفرنسية أساسها العقائدي في حقوق الإنسان أي أن الفكرة الأساسية التي تركز عليها الثورة الفرنسية هي ضمان الحقوق والحريات الفردية, وإعطاء للفرد حقه الطبيعي, كحق العيش والمعتقد الخ, وأن لا يعرقل صفوة هذه الحقوق أي سلطة أو دولة أو نظام كون أن لكل إنسان حقوق مطلقة يتمتع بها في أي زمان ومكان . إلى هنا نصل إلى تقديم نماذج عن التنوير: التنوير الفرنسي عند فولتير والتنوير الانجليزي عند كانط .

<u>التنوير الفرنسي</u>: فولتير (نموذج)

(*): هيغل جورج فلهلم فريدريش (Hegel Georg Wllhelm Friedrich):(1770-1831م) فيلسوف ألماني عمل كأستاذ محاضر بجامعة إينيا وحاز على شهادة اللاهوت من جامعة توبجن, ورئيسا لتحرير مجلة غازيت, تبنى المنهج الجدلي متأثرا بماركس. من **<u>مؤلفاته</u>:** فينومينولوجيا الروح (1806),علم المنطق (1811), مبادئ فلسفة القانون (1818). **<u>انظر</u>:** جورج طرابيشي, **<u>معجم الفلاسفة</u>** , مرجع سابق ,ص(721-724).

يعتبر فولتير فيلسوف التنوير العقلاني الفرنسي, من بين أبرز الفلاسفة المتأثرين بالثقافة الإنجليزية, من خلال التعرف على فلاسفة وعلماء وكتاب انجلترا , وأعجب بالدستور الانجليزي, وبحرية الانجليز السياسية, وهذا راجع للاضطهاد الذي تعرض له في فرنسا, فلم تكن هناك حرية سياسية البتة في فرنسا, كون أن زمام الثقافة والحكم والرأي بيد الكنيسة, فقد أولى اهتمامه للإنسان , وأعطى قيمة كبيرة له, وألقى على عاتقه مهمة واحدة , آلا وهي : نشر الأنوار وتحرير العقل البشري من عبء الأفكار المسبقة وتخليص المواطن الفرنسي من الرؤية التشاؤمية والسوداوية للحياة , فشن هجومه على كل ما هو سائد من فساد واستبداد و حارب الخرافات والأساطير, وسهر على الحط من سلطة الكنيسة الكاثوليكية المسيحية واعتبرها هي المدان الوحيد والمشتبه به الرئيسي, في كل ما تعانيه أوروبا, من سنوات من الانحطاط والتخلف والحروب والأوبئة والمجاعة..الخ. فعمل على "**إعادة تنظيم العلاقات الاجتماعية وفقا لمبادئ العقل**".[30]

فاعتمد فولتير على أسلوب حاد في مجادلته وحواراته وكتاباته,فكان سلاحه الأكثر فتكا هو السخرية الثاقبة, بأسلوب هجائي حاد ضد الكنيسة.

لقد كان فولتير مدافعا صريحا , عن الاصلاح الاجتماعي , على الرغم من وجود قوانين الرقابة الصارمة. والعقوبات القاسية التي كان يتم تطبيقها, على كل من يخالف هذه القوانين, فهو فيلسوف ضاع صيته, بسبب ابداعه في فن المجادلة والمناظرة الهجائية.

فهو لا يتردد في تقديم نقد لاذع صريح للكنيسة الكاثوليكية, والمؤسسات الاجتماعية الفرنسية الموجودة آنذاك.

نادى فولتير بنقل الحكم الاقطاعي , الذي كان سائدا في فرنسا, إلى النظام البرجوازي, مع الحفاظ على الفوارق الاجتماعية, فاقترنت فكرة حقوق الانسان , بنظرية العقد الاجتماعي, عند العديد من

---

[30] :فولغين, <u>فلسفة الأنوار</u>, ترجمة: هنريت عبودي, دار الطليعة للنشر, ط1, بيروت,2006,ص 26.

(*): فولتير Voltaire (1694–1778م): اسمه الحقيقي ماري آرويه, ولد ومات بباريس, هو أديب وشاعر وفيلسوف فرنسي,ينتمي الى أسرة برجوازية, وناقدا وساخرا من المعتقدات المتعصبة وخاصة المذهب الكاثوليكي,ألف العديد من المؤلفات معادية للسلطة السياسية والدينية في فرنسا مما أدى إلى سجنه في الباستيل من طرف الكاردينال دي روهان ,ولم يخرج فولتير من السجن إلا بشرط السفر الى انجلترا. وهناك تأثر بالفلسفة السياسية للوك,وفيزياء نيوتن. **<u>مؤلفاته:</u>** عناصر فلسفة نيوتن: **(1764م)**, رواية صادق**(1747م)**, عصر لويس الرابع عشر**(1751م), <u>انظر</u>**: جورج طرابيشي, **<u>معجم الفلاسفة</u>**, مرجع سابق,ص**(471–473)**.

الفلاسفة والمفكرين من أمثال:(هوبز, جون جاك روسو, مونتيسكيو, جون لوك , فولتير) ,وهي عبارة عن اتفاق بين طرفين حكومة والشعب, تنطلق هذه النظرية , من فرضية أن نشوء المجتمع لم يكن طبيعيا بل اصطناعيا. وهذه النظرية في الحقيقة لها جذور كلاسيكية والتي يعد لأفلاطون وأرسطو, من أبرز ممثليها, الذين يروا أن الانسان كائن اجتماعي, يبرم اتفاق ينظم المجتمع من أجل مستقبل أفضل.

فيرى فولتير أن المجتمع الفرنسي كان يسوده الركود والانحراف والنظرة السوداوية للحياة, وكل هذا هو نتاج ما روجت إليه الكنيسة, لقرون من الأوهام والاعتقادات الخاطئة, وأن الوحيد القادر على إخراج الناس من هذا الظلام هم الفلاسفة ,لأنهم قادرين على تقديم رؤية مستنيرة عن العالم,وهم فقط من لديهم القدرة على مجابهة الأوهام والخرافات من خلال عقولهم يقول في هذا الصدد:" ان الفلاسفة يجب أن يحتلوا المواقع الأولى فتغدوا جميع الآمال سائغة! وإذا كان شيء قد انحرف حتى اليوم, فذلك لأن البشر لم يريدوا أن يفكروا ولا أن ينتفعوا بعقولهم".[31]

فيرى فولتير أن عامة الشعب يتميزون بالجهل, كون أن الكنيسة الكاثوليكية المسيحية, لم تكن تسمح بالتعليم , وهذا ما أدى إلى شيوع الجهل والجمود الفكري, كما كانت تروج للأساطير والخرافات, مما جعل فولتير لا يثق في أفكارهم وآرائهم, كما لا يثق في الحكام لأنهم يروجون لحماقات الكنيسة, فيرى بالتالي فولتير أن الأحق في الانفراد بالحكم هو الشخص المستنير : أي الفيلسوف , لأنه هو الشخص الوحيد القادر على أن يغير في مجريات الأمور وهو الأحق في التشريع وسن القوانين, ذلك لأن الفيلسوف يسعى إلى تحقيق مصلحة العامة, ومجابهة الخرافة والأوهام ودفع بالتاريخ نحو التغيير والتقدم والدفاع عن حقوق المدنية والعدالة والحرية.

وفي هذا يرى كوندروسيه Condorcet:" سوف يأتي اليوم الذي تشرق فيه الشمس على الرجال الأحرار فقط, أولئك الذين لا سيد لهم سوى عقولهم".[32]

---

[31] : برنار غروتويزن, **فلسفة الثورة الفرنسية**, ترجمة: عيسى عصفور, منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات,(ط1),بيروت,1982,ص89.

[32] : دوليندا أوترام, **التنوير**, ترجمة: ماجد موريس ابراهيم, دار الفارابي, (ط1), بيروت,2008, ص53.

(*): الحرية (Liberté): ضد العبودية والحر: الكريم, والخالص من الشوائب , والحر من الأشياء أفضلها, ومن القول أو الفعل أحسنه .

انظر: جميل صليبا , **المعجم الفلسفي** , مرجع سابق, ص461.

فمن أهداف التنوير التحرر من التقاليد التي سيطرت على العقول لعدة قرون, فالتنوير يبدأ عندما تشتغل العقول, وتبدأ في طرح أسئلة, وتخضع القضايا والأفكار إلى التحليل والى تمحيص علمي تجريبي دقيق.

ومن المعروف تاريخيا أن الكنيسة كانت تمثل الجهل والخرافة والتخلف, ففي القرون الوسطى كان كل الشعب يمتثل لآرائهم واتباع ما تمليه عليهم , وان الخروج على آرائهم يعتبر كفر وإلحاد, وبالتالي تسلط أشد العقوبات على من يفعل ذلك.

ومن المظاهر الأساسية للنشاط الفلسفي عند فولتير "الحرية "(*), ويقصد فولتير بالحرية , هي الحرية التي تتجلى في سائر الميادين الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية... الخ, فقد كان فولتير من أشد أنصار الحريات في القرن الثامن عشر, والذي يرى أنه لابد من الدولة أن تضمن حقوق الأفراد وتحقيق المساواة وأن تحد من الاستبداد والقمع , وأن غياب هذا العنصر المهم أي الحرية , يؤدي لا محالة إلى انهيار لأي مجتمع على جميع الأصعدة. ويعرف الحرية بقوله:" إن الحرية تتمثل في ألا يخضع المرء إلا للقوانين".[33]

ب) <u>التنوير الألماني</u>: كانط (نموذج)

[33] : ف. فولغين, <u>فلسفة الأنوار</u>, مرجع سابق. ص33.

لقد دفعت مأساة الحرب العالمية الثالثة وما ترتب عليها في أوروبا على الانسان والمجتمع إلى إعادة النظر في طرق التفكير وأسلوب العيش.

لقد شكل ايمانويل كانط قيمة تاريخية بحق , من خلال طرحه لأفكار غيرت من مجرى قارة بأسرها, فقد ساعدت أفكاره على إخراج أوروبا من الظلام والجهل والتعصب والدوغمائية والاستبداد إلى رحاب التنوير وحرية الفكر والحداثة.

وعليه فإن السعي لإحداث التغيير وغرس قيم التسامح والعدالة والمساواة والحرية في القرن الثامن عشر,الذي عرف بعصر التنوير, الذي يعتبر عصر جديد للإيمان المطلق بقدرة العقل في شتى ميادين المعرفة التي يعبر عنها كانط باعتبارها اشكالية إنسانية بحتة.

فيتجه كانط إلى حث الإنسان على استعمال عقله بنفسه دون وصاية من الآخر , وأن لا يسلم عقله لإنسان آخر, ويتجلى هذا التعبير الصريح, حيث يقول :" تحل بالشجاعة لاستخدام عقلك بنفسك".[34]

إن جزءا كبيرا من البشر رغم أنهم أحرار يعيشون في حالة من الخمول والجبن. لعدم وجود الشجاعة للبحث عن الحقيقة. وأن لا يتحلى الإنسان الذي يطمح إلى التنوير والتطور, بالخوف والكسل والتردد في مواجهة الأخطار والصعوبات , مما يؤدي به في نهاية الأمر إلى تحكيم سلطة انسان آخر عليه , ويخضع بالتالي للانقياد كالمواشي التي تسلك سياسة القطيع دون أدنى اعمال للفكر. بل لابد من الراغب في التنوير والتطور والتقدم أن يتحلى بالشجاعة والإقدام من خلال إزاحة الغطاء عن العقل, وبالتالي سيادة الإنسان على عقله وفكره دون توجيه الآخر.

فيؤكد كانط أن من شروط التنوير والحداثة هو الحرية. خاصة حرية المرء في استعمال عقله. فهو يعد ضرورة إنسانية . فعمل كانط على إنشاء مشروع سلمي يدعوا من خلاله إلى تحقيق السلم والسلام بين الشعوب والأمم , وألف فيه كتب لاقى شهرة واسعة نشره سنة (1795م) بعنوان " مشروع للسلام

---

[34] : ايمانويل كانط, <u>ثلاث نصوص تأملات في التربية (ماهي الأنوار, ما التوجه في التفكير)</u> , <u>تعريب وتعليق:</u> محمود بن جماعة , دار محمد علي للنشر, (ط1), تونس,2005,ص 85.

الدائم". نادى فيه إلى " إلى إنشاء حلف بين الشعوب – باعتباره– السبيل الوحيد للقضاء على شرور الحرب وويلاتها".[35]

فيرى كانط أنه لكي تصل الإنسانية إلى هذا السلام المنشود , لابد من توطيد العلاقات بين الشعوب , والتطلع لإنشاء ثقافة العيش المشترك بين الأفراد والجماعات والشعوب. وقد جاء هذا المشروع على شكل جملة من الشروط والضوابط , منظمة ومنسقة وفق أقسام, لإحلال السلام الدائم بين الأمم والدول . ومن بين أهم هذه الشروط على سبيل المثال لا الحصر مايلي:

يرى كانط بأنه يجب أن تحتكر دولة صغيرة أو كبيرة على الأسلحة أو صناعتها لأن ذلك يعد تجهيزا للحروب وأن لا تدرب الجيوش لأن ذلك يعتبر تهديدا للسلام العام , فيقول " يجب أن تلغى الجيوش الدائمة على مر الزمان".[36]

وعدم تدخل أي دولة في شؤون دولة أخرى , ويؤمن كانط أن البشرية لن تعيش بسلام إلا حين ينتهي الاستبداد والحكم الأحادي (الملكي), الذين ينصبون أنفسهم ملاكا على العباد من غير حق. وهم يخاطرون بالشعب الذين يعانون من ويلات الحروب من أجل مصالحهم الشخصية , وبالتالي فإن الذي يحصد النتائج هو الشعب. وبالتالي فيرى أن السلطة التشريعية التي تصدر الأحكام لابد أن تكون صادرة عن " إرادة الشعب " , يقول:" يجب أن يكون الدستور المدني لكل دولة دستورا جمهوريا".[37]

وهذا يعني أن الشعب هو الوحيد الذي له الحق في أن يقرر الحرب والوحيد القادر على تقرير مصيره.

وفي الأخير يمكن القول , أنه يمكن أن يختلف الفلاسفة في طرحهم لأفكارهم في القرن الثامن عشر , إلا أن الغاية واحدة , فهم يجتمعون على نفس الخطى ويسلكون نفس السبيل , ويهدفون إلى تحقيق نفس المطامح آلا وهي نبذ التعصب والاستبداد وتحقيق حرية الأفراد والمساواة والعدالة واحترام الكرامة الانسانية , ونشر فكر السلام والتعايش ودعم التعليم والحد من سلطة الكنيسة . كل هذه الأمور لاقت رواجا وحققت العديد من الأهداف لتقف بذلك أوروبا على قدميها من خلال مجهودات العديد من الفلاسفة الذين حملوا

---

[35] : ايمانويل كانط, **مشروع للسلام الدائم**, ترجمة: د. عثمان أمين, مكتبة الأنجلو المصرية, (ط1), القاهرة,1952. ص09.

[36] : ايمانويل كانط, **مشروع للسلام الدائم , مرجع سابق ,ص13.**

[37] :نفسه, **ص15.**

على عاتقهم لواء الحداثة والخروج من عصر الظلام والركود والجمود الفكري إلى تحقيق استنارة شاملة على جميع الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية ... الخ .

- المطلب الثاني : التنوير في الفكر العربي

لما نتحدث عن التنوير فنحن حتما نتحدث عن التغيير, إذ يشير مصطلح التنوير إلى الخروج من حالة ظلام وركود وسبات, إلى حالة الاستيقاظ والنور والتقدم والتحضر. هذا ما يؤول بنا إلى العودة قليلا إلى الحالة الأولى , التي كانت عليها حال العرب قبل وأثناء الثورة الفرنسية في أوروبا.

وتجدر الإشارة إلى نقطة جد مهمة آلا وهي أنه عندما كانت الحضارة العربية في العصور الوسطى تعرف أوج التقدم والتحضر فقد عرفت ازدهارا كبيرا في كافة ميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفكرية, كانت في المقابل أوروبا تعاني من ويلات التخلف والاستبداد والظلام والحروب والأوبئة جراء الحكم الكنسي على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وحتى السياسية منها .

وبما أن المجتمع العربي قد تأثر بالفكر التنويري الغربي , عن طريق الحملة الفرنسية البونابارتية على مصر 1798م, لما أحدثته هذه الحملة من صدمة ثقافية وحضارية, فقد أعجب العديد من الفلاسفة العرب بأفكار الثورة الفرنسية وتأثروا بشكل ما بالتنوير الغربي, وأرادوا من خلال ذلك زرع هاتيه الأفكار في المجتمعات العربية ,ومن بين أهم الفلاسفة الذين تبنوا الفكر التنويري :" محمد عبده, طه حسين, شبلي شميل, رفاعة الطهطاوي, فرح أنطون.... الخ .

إلا أن مصطلح التنوير الغربي لم يلقى رواجا كما عرفه في أوروبا , ولذلك وجدنا أن هذا المصطلح يتداول بكلمات مرادفة ربما كالتجديد والوعي أو النهضة أو الإصلاح والتقدم والتمدن...الخ .

فيطلق مصطلح التنوير في الفكر العربي الحديث عادة على حركة التجديد والإصلاح والتعليم والوعي .

إلى هنا نصل إلى التساؤل عن ما إذا فهم رجال الإصلاح والتجديد المسلمون التنوير كما فهمه رواد حركة التنوير في أوروبا؟

لقد اجتهد الدكتور بشير بوغازي من خلال مؤلفه (فلسفة عصر التنوير), في تحديد ثلاث أنواع للتنوير في العالم الإسلامي الحديث , في حين يصنفها إلى صنفين آلا وهما :

أ)- التنوير التغريبي العلماني التحريفي: وهو ينقسم إلى اتجاهين وهما:

- التنوير التغريبي العقلاني الوضعي الراديكالي: وهذا الاتجاه هو نسخة طبق الأصل للتنوير التغريبي يدعوا الى الإلحاد وإنكار الوحي والدعوة الى تجاوز الإيمان بالغيبيات واتباع المنهج الوضعي المادي التجريبي من أنصاره: أمين شميل, فرح أنطون, سلامة موسى.... وغيرهم.[38]

فالتنوير بهذا المعنى المقلد من التنوير الغربي يكدر صفوة الحضارة الإسلامية , ويؤدي في نهاية الأمر إلى الإلحاد والخروج عن الدين الإسلامي من خلال تبني المنهج المادي , انبهر أصحابها بالبريق الزائف لمادية الغرب, ورأوا أنه لابد من اللحاق بركب الحضارة الغربية, فخضعوا إلى شروط تلك النهضة , فكان نتاج هذا الخضوع أن تخلوا عن المبادئ , وتنازلوا عن ثوابت الدين, وبدؤا في تحريف الشريعة الإسلامية, وتحويرها للتتناسب مع المفاهيم الغربية .

- التنوير التغريبي العصراني التحريفي: وهو اتجاه نشأ في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي, يسعى إلى إيجاد مواءمة بين الإسلام وبين الفكر الغربي المعاصر , عن طريق إعادة النظر في النصوص الدينية وإعادة تأويلها تأويلا جديدا ينسجم مع الأوضاع العصرية السائدة من أهم أنصارها نجد:" سيد أحمد خان, أبو الحسن علي الحسني الندوي.. الخ.[39]

قد تحمل كلمة " العصرانية" معنى براق في ظاهرها , وقد ينظر إليها القارئ على أنها تحمل نوع من الانفتاح والعصرنة والتنوير, أو غير ذلك من المسميات البراقة , إلا أن فالحقيقة في جوهرها تكمن أخبث المكائد التي تسعى إلى تحريف الدين , ويصبح بهذا المعنى العصرانية لفظ أجوف لا قيمة له , كون أنه يحمل في طياته تجارب ومحاولات لهدم الحضارة الإسلامية من خلال الطعن في نصوصها الدينية , وإعادة تأويلها بما يوافق مصالحهم وغاياتهم , الإسلام بريء منها .

ويمكن القول أن كلا الاتجاهين لا يمثلان التنوير في حقيقته ,وإن كانا يحملان هذا الاسم , فقد ألباسهما وشاحا لا يعبر عن حقيقتهم, فلا ينبغي أن تكون الصورة الانطباعية عليهم في دمجهم ضمن من يدعون إلى الإصلاح والتجديد والتنوير والحرية والعدالة ...الخ .

---

[38] : بشير بوغازي, فلسفة عصر التنويرمرجع سابق,ص (27-28).

[39] :المرجع نفسه, ص(29-30).

ب)- التنوير الإسلامي التجديدي الأصيل: وهو أيضا بدوره ينقسم إلى اتجاهين هما:

- التنوير الإسلامي التجديدي التحديثي: وهو تنوير يهدف إلى فهم الإسلام كما هو والمحافظة عليه نقيا صافيا من كل الشوائب والتحريفات التي قد تلحق به, وإتباع القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة , وتدعوا إلى " مقاومة الجمود والتعصب وفتح باب الاجتهاد ".[40]

وتمثل هذا الاتجاه وبرز مع بداية القرن العشرين , من خلال العديد من المشاريع الفكرية, التي تنادي بالتحضر والتقدم من خلال العودة إلى الدين الإسلامي , والحفاظ على الهوية الإسلامية من التأثر بالنماذج الغربية التي بدأت تغزو الحضارة العربية الإسلامية.

من بين أبرز ممثليه : رفاعة الطهطاوي, وجمال الدين الأفغاني, الشيخ محمد عبده, محمد رشيد رضا .... الخ.

- التنوير الإسلامي التجديدي المحافظ: فإذا كان التنوير الأول هو التنوير الإسلامي التجديدي التحديثي, الذي يهدف إلى إحياء الإسلام نقيا صافيا من البدع والانحرافات والالتزام بأصول الدين ومصادره الأصلية. فإن التنوير الإسلامي المحافظ هو الذي يحرص على عدم اختلاط النصوص الدينية الصحيحة بغيرها من النصوص المحرفة , والحفاظ عليها من الضياع وهي لا ترفض التجديد إن كانت الغاية منه هي العودة بالدين إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

ويمثل هذا الاتجاه في العصر الحديث " رواد المدرسة الإصلاحية السلفية منذ دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (1206هـ) وحتى عصرنا الحالي".[41]

---

[40]: **المرجع السابق**, ص 33.

[41] :نفسه, ص38.

- ✓ **الفصل الثاني: تجليات الفكر التنويري في مشروع الخشت.**
  - **تمهيد**
  - ✓ **المبحث الأول: تجديد العقل في مشروع الخشت التنويري.**
    - ➢ **المطلب الأول: مفهوم العقل**
    - ➢ **المطلب الثاني: نشأة وتطور العقلانية**
  - ✓ **المبحث الثاني : من العقلانية إلى التعصب**
    - ➢ **المطلب الأول: مفهوم العقلانية**
    - ➢ **المطلب الثاني: أصول ومبادئ العقلانية**
    - ➢ **المطلب الثالث: التعصب من التطرف العلماني والتطرف الديني.**
  - ✓ **المبحث الثالث: تجديد الخطاب الديني (بين الإمكان والاستحالة)**
    - ➢ **المطلب الأول: مفهوم الدين**
    - ➢ **المطلب الثاني: نشأة الدين**
    - ➢ **المطلب الثالث: تجديد الخطاب الديني**

تمهيد:

عرفت مسألة العقلانية رواجا كبيرا بعد عصر التنوير,وصارت بذلك منجى كثير من الفلاسفة والمفكرين الذين يجعلون العقل مصدرا للمعرفة وليس الوحي, وتحليل الظواهر الاجتماعية والتاريخية والثقافية والسياسية معتمدين في ذلك على معايير واستنباطات عقلية, مؤمنين بإمكانية العقل على فهم الحقائق بشكل مباشر, مولين العقل مكانة محورية سواء في نظرية المعرفة أو في فهم العالم.

فسعى بذلك العديد من الفلاسفة الغربيين إلى ترويج العقلانية , مما استقطب الكثير من المفكرين العرب المعجبين بهاتيه العقلانية , فاتخذوها منهاجا وسبيلا لا عوج له , ووسيلة للحاق بالتطور بركب الحضارة , متخذين بأسباب الحداثة التي نشأت على أسس عقلية والحرية الفكرية, بتبنيها كبديل للتراث الذي اعتبر كشيئا من التاريخ ولا يصح الاعتداد به . بعد أن نبذت الدين وشككت في نصوصه وأصوله, فاتسعت هوة الصراع والتنافر بعد أن أثيرت الإشكالات وقلبت الحقائق ولويت أعناق المفاهيم, فالخلاف حول العقلانية قديم , لا يقتصر بين وبالتالي لا مجال لاحتكار العقلانية من طرف دون الآخر, كما تبنت بعض المواقف هذا المذهب العقلاني إلى حد التعصب, وانغلاق العقل على نفسه ,وسواء أكان هذا التعصب فكريا أو عقديا أو علمانيا فإنه يهدد الأمن العام لأفراد المجتمع, فكان لزاما علينا تبين هذا كله ولو بشكل مقتضب, من أجل الإحاطة بجوانب هذا الموضوع الذي سنحاول من خلاله وضع الأشياء في نصابها – ما استطعنا –,فكان موضوع حديثنا في هذا الفصل يدور حول العقلانية وأصولها ومبادئها, وتتبع نشأتها وتطورها, مع ابراز مظاهر التعصب من التطرف العلماني والديني, وتسليط الضوء على نشأة الدين ومفهومه,ومشروع الخشت في تجديد الفكر الديني .

- ما العقل؟ وماهي العقلانية؟
- كيف نشأت العقلانية ؟وما هي أهم مبادئها ؟
- ما التعصب؟ وكيف يمكن مواجهة التطرف الديني والعلماني؟
- كيف نشأ الدين ؟ وما المنهج الذي اعتمده الخشت في تجديد الخطاب الديني؟

➢ المبحث الأول: تجديد العقل في مشروع الخشت التنويري

➢ المطلب الأول: مفهوم العقل

إن من المنطق قبل الشروع في الحديث عن العقلانية , أن نتطرق أولا إلى مفهوم العقل , باعتبار أن العقلانية هي نتاج للعقل .

أولا: مفهوم العقل

* العقل في اللغة هو الحجر والنهي , وقد سمي بذلك تشبيها بعقل الناقة , لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع عقال الناقة من الشرود. .[42] فقد وردت في القرآن الكريم لفظة تدل على" العقل " بـ " النهى " في قوله تعالى ﴿ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴾ **(طه : 54)** . **و** يعرفه الجرجاني " الحجر والنهى ضد الحمق والجمع "عقول " . ويقال "أعقلت فلانا , أي ألفيته عاقلا".[43]

جاء في مفردات الراغب:" للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل".[44]

مفهوم العقل في اللغة ارتبط بالإدراك والفهم , فالعقل صفة إنسانية تميزه عن الكائنات الحية الأخرى, كونه إنسان عاقل أي درك فاهم لما حوله من ظواهر بواسطة هذا الجوهر, وهو نقيض الجهل, أي أن يعرف ما كان يجهله ويتجلى هذا في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ 66 أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الأنبياء:67-66)

فالعقل يتخذ في القرآن معاني متعددة , تصب في مجملها في معنى المعرفة والعلم والتمييز بين الأشياء.

---

[42] : جميل صليبا, **المعجم الفلسفي** مرجع سابق, ص 84.

[43] :المرجع نفسه,ص 91.

[44] : الراغب الأصفهاني, **المفردات**, مكتبة نزار مصطفى الباز ,الجزء الأول, د.س,ص444.

- ويعرف العقل اصطلاحا:

يقرر "أرسطو طاليس" أن العقل " جوهر قائم بالإنسان يفارق به الحيوان ويستعد به لقبول المعرفة".[45]

والملاحظ أن هذا التعريف يجعل من العقل جوهرا يتميز به الإنسان دون غيره, إلا أن التعريف الأرسطي للعقل, وكأنه ينظر إلى المعيار التقويمي ويهمل معايير أخرى , فيجعل من العقل أداة للتمييز بين الإنسان والبهائم, دون مراعاة ما أهم من ذلك . فبالتالي فإن هذا التعريف قاصر على أن يشمل جميع الجوانب والمعايير الأخرى. ويظهر تأثر أرسطو بأستاذه أفلاطون الذي أقام فلسفته كلها على نظرية المثل أو الماهيات العقلية, فالمعرفة لديه تقوم على أربعة مستويات: الحس والظن والاستدلال والعقل, في حين يعتبر هذا الأخير جوهر الإدراك وأصل المعرفة الحقيقة يطلق عليها ما يسمى بـ "المثل ". وهنا سار أرسطو على نفس الخطى التي سلكها أستاذه أفلاطون, حيث انتهى إلى أن المدركات العقلية هي قوام العلم والمعرفة وأساسها.

لقد تأثر الفلاسفة المسلمون من أمثال ابن سينا والكندي والفارابي والغزالي وابن ماجه بآراء فلاسفة الإغريق مثل أرسطو.

فالكندي يعرف العقل على أنه:" جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها".[46] وهو قول بجوهرية العقل , ومن التعاريف المعاصرة قول محمد عمارة أن العقل هو: " ملكة وغريزة ونور وفهم وبصيرة وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان".[47]

فهو ليس مجرد عضو عند الانسان, فيعتبره محمد عمارة جوهر مدرك لحقائق الأشياء , يتميز بعدة آليات: كالفهم والبصيرة, وقد دل في القرآن الكريم أن محله القلب.

---

[45] : طه عبد الرحمن, <u>سؤال الأخلاق (مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية)</u>, المركز الثقافي العربي للنشر,ط1, بيروت (لبنان), 2000,ص 62.

[46] : جميل صليبا, <u>المعجم الفلسفي</u>, مرجع سابق, ص 84.

[47] : محمد عمارة , <u>مقام العقل في الإسلام</u>, نهضة مصر ,ط1,القاهرة,2009,ص8.

ويعرفه الدكتور عبد العال سالم مكرم بأنه :" قوة خفية تدرك بها الأشياء , وهي هبة سماوية نستطيع في ضوئها أن نميز بين الحق والباطل, بين النافع والضار, بين الحسن والقبيح, سواء حملت هذه القوة الخفية اسم العقل أو اسم القلب أو اسم العلم".[48]

لقد ارتبط مفهوم العقل في الفلسفة الاسلامية بالجانب الديني , على خلاف الفلسفة الغربية التي ارتبط فيها هذا المفهوم بالجانب المادي , وبالتالي فإن ارتباط العقل بالدين راجع لارتباطه بالوحي , في حين أن العقل أو العقلانية عند الغرب قد عرفت ثورة على كل ما هو لاهوتي , وأخذت بالتسليم بمبدأ أن لا شيء يعلو على سلطان العقل حتى الدين , بينما في الفلسفة الاسلامية فقد جعل العقل في خدمة الدين وليس العكس , فالعقلانية الاسلامية نابعة من الدين وليست ضده.

قد تختلط علينا المفاهيم وتتعدد , والتخندق في مضمار هذه الشروحات والمفاهيم , يجعلنا نقع في الاشتباك في العديد من المتناقضات , فلقد تعددت واختلفت وتباينت التعريفات بين الفلاسفة والمفكرين والفرق الكلامية والغربيين حول تحديد تعريف شامل للعقلانية , فكل منهم ينطلق من أفكار مختلفة إلا أنه يمكن القول أن مفهوم العقل في الاسلام قد انقسم إلى نوعين:

- الأول: هو التعريف الفلاسفة المتأثرين بالفلسفة الغربية , وبالتالي فهذا التأثر سيكون جليا في أفكارهم كما سبق القول أن التعريف الغربي للعقل أقرب ما يكون مادي.
- الثاني: هو التعريف الفلسفة الاسلامية المرتبط بالوحي , وبالتالي فإن تعريف العقل يكون من خلال خلفية دينية التي تتكون من النصوص الدينية التي يؤمن بها هؤلاء.

---

[48] : عبد العال سالم مكرم, **الفكر الاسلامي بين العقل والوحي**, دار الشروق,ط1, 1982, ص07.

➢ المطلب الثالث: نشأة وتطور العقلانية.

إذا تتبعنا تطور العقلانية وجدناها أنها تيار ومنهج له تاريخ طويل, وموقف للعديد من الفلاسفة والمفكرين, له جذور تاريخية في الفكر الشرقي القديم , لاسيما في مصر والهند, وقد بدأت كمنهج في الفلسفة اليونانية مع كل من سقراط وتلميذه أفلاطون, كما حاول العديد من الفلاسفة المسلمين من توظيف العقل وجعله الأساس لتفسير وتحليل بعض الإشكالات والتساؤلات , من أمثال الكندي وابن سينا والفارابي, الذين حاولوا التوفيق بين الحكمة والشريعة , أو بين الدين الإسلامي و العقلانية اليونانية, إذ يذهب ابن رشد الى اعتبار أن العلاقة التي تجمع بين الحكمة والشريعة, هي علاقة توافق وانسجام وليس تعارض كما يزعم البعض , وإذا تم ايجاد تعارض فينبغي تأويل الوحي بما يتوافق مع العقل. إلى هنا يمكن من خلال هذا العرض التمهيدي الموجز, نصل إلى ابراز أهم التساؤلات التي تكون عبارة عن مفاتيح نستند فالإجابة عليها الى تسهيل وتبسيط نشأة العقلانية .

أ)- العقلانية عند اليونان:

العقلانية هي سمة الرئيسية المميزة في الحضارة اليونانية, كونها قد شاعت بشكل كبير آنذاك ,فقد بحث الفلاسفة عن تفسيرات عقلانية للعالم الطبيعي. لكن يجدر الإشارة إلى أن العصر اليوناني قد كان مزيجا بين العقلانية والخرافة, وكان تسيطر عليها الأديان الوثنية الشعبية وكانت بها أديان ذات طابع صوفي مثل :" الأورفية" التي كان يعتنقها فيثاغورس".[49] في حين أن الخرافة قد انتشرت بشكل كبير في المعابد اليونانية.

ثم ازدهرت الفلسفة اليونانية, ووصلت ذروتها فظهر فلاسفة عقلانيون , ففي أثناء حياة سقراط وأفلاطون , وصلت العقلانية إلى ذروتها , فقد بحث سقراط(470 ق.م-399ق.م) عن " المعاني العقلية الكلية".[50]

---

[49] : محمد عثمان الخشت, **<u>العقلانية والتعصب</u>**, مصدر سابق, ص 25.

(*): **الأورفية:** ديانة أسطورية يونانية ظهرت في القرن الثامن ق.م ,اعتقدت أن الروح في الأصل كانت في العالم الآخر وسقطت إلى العالم الأرضي وحلت في الجسم, واعتبرت أن الحلول في الجسم والبقاء في الأرض ألم ,أما الحياة في العالم الآخر فهي رحمة ,وأثرت الأورفية بشدة في الفلسفة المثالية اليونانية. **انظر:** محمد عثمان الخشت , **<u>نفس المصدر</u>**, ص 52.

[50] :نفس المصدر, ص 25-26.

معتمدا في ذلك على المنهج العقلاني , فله أسلوب خاص في الجدل ويعتمد على عنصري التهكم والتوليد. فالتهكم يقوم على السخرية من الخصم , وايقاع بالمجادل في التناقض, من خلال طرح أسئلة ساذجة , فيكون بذلك كالمستفسر الجاهل بالشيء, ويجعل من المجادل سيدا للموقف , ثم يحاول إثبات خطأ الاجابة وتصعيد الشك في رأي المجادل , حتى يعترف المجادل بجهله. وأما التوليد: فهو توليد الحقيقة من عقل الخصم , بحيث يبدأ سقراط بإثبات أن المعرفة الصحيحة موجودة بالفعل في عقل المجادل, ولا يحتاج إلا إلى تذكرها واستخراجها.

ومن أجل ذلك , فإن أسلوب سقراط المميز أثار حفيظة الجميع وخاصة رجال الدين , فاتهموه بإفساد عقول الشباب , كما تم اتهامه بالإلحاد وإنكار الآلهة والسخرية بهم.

بدأ الاهتمام الجدي بالإنسان مع سقراط, الذي غير مجرى الفلسفة , فبعد أن كانت اهتمامات قبل سقراط مرتكزة على الجانب المادي والأساطير والخرافات , وتلج في متاهات السفسطائيين , تحول الاهتمام مع سقراط الى الاهتمام بالإنسان والاخلاق. الذي يهدف من خلاله إلى الوصول الى نظام أخلاقي متماسك, من خلال :" الوصول بالعقل الى المبادئ الأخلاقية الكلية الثابتة".[51]

ويتضح لنا مما سبق, مدى اهتمام سقراط بالعقل, وجعله يسمو عن الأشياء, حتى ربطه بالفضيلة , والتي هي في نظره " الخير الأعظم", وبالتالي فإن العقل سمة جوهرية أخلاقية إنسانية يتميز بها الانسان دون غيره .

أما مع أفلاطون (427ق.م– 347ق.م) فمن خلال نظريته في المعرفة , أنه لابد من عقلنة المعطيات الحسية بواسطة العقل, لأن بالعقل وحده نستطيع من فهم موضوعات العالم الخارجي , وبهذا ننتقل من المحسوس إلى المجرد , ومن العالم المادي إلى عالم المثل.

---

[51] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص 26.

(*): أفلاطون Platon(427ق.م– 347ق.م) , فيلسوف من أسرة أرستقراطية وأن أصله يرجحه لتولي زمام السياسية , فلازم أستاذه سقراط إلى حين وفاته متأثرا بأفكاره وطريقة موته , ثم عاد لأثينا وأسس أكاديميته والتي تعتبر أول معهد للتعليم العالي , كاتب للعديد من المحاورات الفلسفية, من **مؤلفاته:** الجمهورية, غورغياس ,فيدروس, بروتاغوراس.. انظر: جورج طرابيشي, **معجم الفلاسفة** , مرجع سابق , ص71–73.

إذ رفض أفلاطون من أن تكون الحواس مصدرا للمعرفة, باعتبارها أن المعرفة التي تقوم على الحواس هي معرفة ظنية , فالعلم اليقيني لديه عقلاني خالص , فاعتبر " التفكير الرياضي , هو نموذج المعرفة الحقة, وكتب على أكاديميته لا يدخل علينا إلا من كان رياضيا".[52]

ويعتبر أرسطو(384ق.م–322ق.م) أول فلاسفة اليونان الذي درس العقل دراسة فلسفية, كما أعطى للعقل معنى واضح في فلسفته, و أصبح العقل عنده هو ذلك :" الشيء الذي يدرك الترتيب والنظام بين الأشياء والعقل كيان يشتمل على مجموعة من القوانين التي تساعد في عملية الإدراك".[53]

فالعقل هو الآلة التي يستطيع الانسان من خلالها أن يفكر ويتأمل ويبحث عن المعرفة, التي من خلالها يستطيع الكشف عن حقائق الأشياء , فأرسطو يرى أن الحواس تستطيع أن تكشف لنا فقط عن الجزئيات الظواهر (الأعيان) على سبيل المثال: هذا الرجل أبيض ,وذاك زنجي, بينما العقل فيدرك الكليات , فهو لا يتعلق بهذا الانسان أو ذاك, وإنما يتعلق بماهية الانسان.

ولعل أهم ما يمكن تقديمه هو أن العقلانية كتيار في نظرية المعرفة , لم تنتبه إلى أهمية التجربة في تكوين المعرفة إلا مع الفيلسوف الألماني كانط. بيد أنه من الملحوظ أن العقلانية قد بالغت في البحث عن اليقين بعيدة كل البعد عن التجربة , فاعتبر العديد من الفلاسفة أن العقل هو أساس المعرفة اليقينية, وقد كان هذا الرأي عبارة عن إقصاء وإجحاف في حق المعطيات التجريبية , كون أن هذه النظرة التعصبية المغلقة على العقل , قد يؤدي إلى الوقوع في الأوهام والتناقضات والأخطاء. إذ لابد من مصادر أخرى للمعرفة مثل : الوحي والطبيعة والعلم التجريبي والرياضي... الخ.

---

[52] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب** , مصدر سابق, نفس الصفحة.

[53] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص28.

(*): **أرسطو Aristotle: (384ق.م–322ق.م) فيلسوف ولد** في اسطاغيرا في شبه الجزيرة الخلقيدية, من أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني ,وهو تلميذ لأفلاطون, من خلال انتسابه لأكاديميته, وقد قيل بحق أن كل فيلسوف, حتى ولو كان من المحدثين , فهو إما أفلاطوني وإما أرسطو طاليس ,واتهم بالزندقة وتوفي بمرض معدي. **من مؤلفاته:** ما وراء الطبيعة ,فن الشعر,الأخلاق النيقوماخية, في السياسة . **انظر**: جورج طرابيشي, **معجم الفلاسفة** , مرجع سابق, ص 52–56.

والثغرة الأساسية في موقف الكثير من الفلاسفة العقلانيين , الاعتقاد بثبوت العقل في معطياته, من خلال إضفاء صفة الثبات المطلق للعقل ومبادئه, وهو الخطأ الذي وقع فيه كل من : سقراط وأفلاطون وأرسطو...وغيرهم من الفلاسفة.

كون أن العقل يخضع كأي ظاهرة أخرى إلى التغير والتطور , وفي كل مرحلة تاريخية تتطور المفاهيم والظواهر والمعطيات وترتقي .

ب)- العقلانية عند الفلاسفة المسلمين:

لم ترج موجة العقلانية في الحضارة اليونانية فحسب, فقد أثيرت هذه المسألة في الحضارة الإسلامية كذلك, فكانت بذلك مهمة العقلانية الاسلامية هي الدفاع عن الدين الإسلامي بمنطق عقلاني مما مهد إلى تأسيس ديني للعقل في الحضارة الإسلامية, فظهر العديد من الفلاسفة المسلمين الذين ساروا على نهج سقراط وأفلاطون وأرسطو, بعد ترجمة كتب هؤلاء , من أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم.

في حين هناك من الفلاسفة من درس فلسفة هؤلاء وخاض في غمارها , واكتشف مكامن الضعف والقوة فيها, ودقق في سبلها وأيقن مكامن زيفها ونواقصها, فأنكرها وانتقدها ,على سبيل المثال ذلك الغزالي في كتابه " تهافت الفلاسفة" , ثم لاقى هذا الأخير انتقادا لاذعا من الفيلسوف الفقيه ابن رشد من خلال طرحه لكتابه: " تهافت التهافت ", فابن رشد كان من المتأثرين بالفلسفة الغربية , إلا أنه لم يكن المقلد الأعمى فاقد البصيرة , فلم يحاول نكران الشريعة أو الوحي بل حاول أن يوفق بينهما ويبين أن العلاقة التي تجمع بين الحكمة والشريعة هي علاقة اتصال وانسجام وليس انفصال , وهذا يظهر جليا من خلال كتابه الشهير:" فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال, فقد حاول بعض الفلاسفة والمتكلمين من الاستعانة بالعقل وتوظيفه للتعبير عن الأفكار الإسلامية والدفاع عنها ضد من يخالفها. فابن رشد جعل من العقل هو الحجر الأساس في قوله :" إخراج اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية, من غير أن يخل ذلك بعادة لسان العرب ...".[54]

أي تأويل النص الديني الأصلي (الوحي) بما يجعله متفقا مع العقل, وبالتالي فإن ابن رشد يؤكد على مشروعية التأويل من داخل النص الديني, وذلك من أجل خلق وفاق بين الشريعة والحكمة, وبين

[54] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص30.

ظاهر النص وباطنه. فقام بوضع شروط وقواعد من أجل أن يسترشد بها من يريد تأويل النصوص كي لا يكون عرضة للتحريف.

ويشتد ابن تيمية في معارضة آراء الفلاسفة اليونان , فيرى ابن تيمية أن الفلاسفة قد غرقوا في الأوهام والضلال, فقام برفض " المنطق الأرسطي(*) حيث بين أنه منطق عقيم".[55] أي أنه لا يأتي بأي جديد ولم يكتف ابن تيمية في تقديم نقده للمنطق الأرسطي فقط , الذي أثر بشكل كبير على المذهب التجريبي فحسب, بل واصل نقده من خلال كتابه : " الرد على المنطقيين" .وقد بين ابن تيمية " أنهم يصبون في الحساب والطبيعة وكثير من علم الفلك ".[56]

لقد تعددت العقلانية بتعدد الثقافات في الأمم, إلا أنه من خلال التقصي التاريخي لتطور العقلانية وانتشارها في كل ربوع العالم , مع اختلاف الأسباب , سواء أكان عن طريق احتكاك العرب بالغرب أو عن طريق الترجمة ... إلا أن الحقيقة التي لا مفر منها أن العقلانية شكلت نقطة تحول كبرى في النظام المعرفي الغربي, بعد عصر التنوير وما شهده من ثورات في مختلف المجالات , لرفع شعار الحرية الفكرية ورفع رايات العقلانية والثناء على دور العقل في تنوير العقول, والخروج من حالة القصور والجمود , الذي كان سائدا آنذاك , ليصل اليوم إلى الحضارة الإسلامية , في حين اقترن مفهومه في الغرب , بإقصاء الجانب اللاهوتي والتصدي لرجال الدين , فقد ارتبط وجوده في الحضارة الإسلامية, باعتباره مرجعية نصية من أجل عقلنة النص الديني , والدفاع عن العقائد الدينية , فنشأت بالتالي مسألة جد مهمة تهتم بتبيان حقيقة العلاقة بين العقل والنقل , وقد كانت محل اختلاف بين المسلمين , بين معارض ومؤيد ومحايد , إلا أنه لا ينفي حقيقة تواجدها في الحضارة الاسلامية .

---

55 : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص31.

(*): **المنطق الأرسطي (Logique)** : هي آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر, ويعتبر آرسطو أول من هذب قواعد المنطق , ورتب مسائله وفصوله, إلا أنه سماه بالتحليل ,لا بالمنطق, وأول من أطلق عليه اسم منطق هم (شراح أرسطو), وكتب أرسطو المخصوصة بالمنطق تسمى بالأورغانون **(Organon)** .**انظر**: جميل صليبا , **المعجم الفلسفي**, مرجع سابق ,ص 429.

56 : محمد عثمان الخشت, العقلانية والتعصب, مصدر سابق, ص 31.

ج) – العقلانية في الفكر الأوروبي الوسيط

وفي العصر الوسيط الأوروبي كانت العقلانية تتحرك داخل الدينفأصبح العقل في خدمة الدين , فقد عبر بعض الفلاسفة من أمثال: توما الإكويني, وأنسلم, وأوغسطين... الخ , فكانوا يعبرون عن تطلعاتهم الدينية بالاعتماد على العقل, واعتباره أداة لتبرير العقائد المسيحية , والدفاع عن الدين ضد الانتقادات والاتهامات الموجهة له, بطابع عقلاني فلسفي, مرد هذه الفلسفة إلى اعتقادهم أنها تتضمن جميع المجالات التي قد تشغل الناس من دين وعلم وسياسة وهيمنة الدين على جميع الانشغالات الأخرى, فلاقت الأفكار الأفلاطونية استحسانا كبيرا بين الناس وراحت أفكارهم " تتراوح بينا الأفلاطونية والأرسطية , وظلت مسألة تطابق العقل مع الإيمان مشكلة كبرى على الدوام".[57]

فيرى توما الإكويني أن العقل جعل نتاجا لخدمة الوحي , واعتبر أن العقل هو في جوهره حقيقة لا يمكن انكارها , كما أن الإيمان حقيقة دينية أيضا , وبالتالي فلا يمكن أن تناقض الحقيقة الأخرى , إلا أن العقل في كل الأحوال يبقى أدنى من الحقيقية الإيمانية . وفي هذا يقول :" الحقيقة لا يمكن أن تكون مناقضة للحقيقة, مما يلزم عنه أنه ما من حقيقة من حقائق الإيمان يمكن أن تبطل حقيقة من حقائق العقل".[58]

إلى هنا يمكن القول أن العصر الأوروبي الوسيط قد وظف العقل لخدمة الدين, فاعتمد الفلاسفة وظلت إشكالية التقابل والتنافر بين العقل والدين مستمرة ,بين مؤيد ومعارض لها وهناك من عمل على إزالة كل العوائق التي تجعل من الدين معارضا للعقل . مما أدى في الأخير إلى نشوء انشقاق كبير في أوروبا , وظل مستمرا حتى بعد العصر الوسيط.

ج)– العقلانية الحديثة:

يعد ديكارت عموما وبحق الشخصية المحورية في الانتقال من الفلسفة الكلاسيكية إلى الفلسفة الحديثة, من خلال منهجه العقلاني, بالإضافة إلى كل من ليبنتز واسبينوزا بإعتبارهم بحق أهم الفلاسفة العقلانيين , كما يعد ديكارت أبا للعقلانية الحديثة , الذي أقر بالأفكار الفطرية , أي الإنسان يولد وهو محملا بأفكار فطرية . ويعتبر ديكارت هو استمرارا للفكر المسيحي الوسيطي الذي شهد تطورا وإزدهار

---

[57] : محمد عثمان الخشت, العقلانية والتعصب, مصدر سابق, **ص 31**.

[58] : المصدر نفسه,**ص33**.

كبير في القرن الثالث عشر, وديكارت نفسه هو النموذج أنتجه هذا الازدهار البديع. فطرحت العديد من الأفكار في هذا العصر شكلت تيارات فكرية ومواقف إيديولوجية ومساهمات معرفية استجابت لمتطلبات العصر الحديث وأوضاعه المستجدة , وواقع المجتمع الأوروبي المتحول, فقد وصل الإنسان في العصر الحديث لوعي عقلاني مستقل عن التأثيرات الدينية وتمكن من نقد التراث, بالإضافة إلى قدرته العلمية للتصرف في عالم الطبيعة وتغييره.

ففي كتابه " مقال في المنهج" , يضع ديكارت أربع قواعد لأي منهج يبحث للوصول إلى الحقيقة, وأن المتتبع لها بدقة يمكنه من خلالها فقط الوصول إلى اليقين آلا وهي : البداهة , والتحليل , التركيب , والإحصاء والمراجعة.

وعلى سبيل المثال فقد انتقد الخشت رينيه ديكارت ,عندما ادعى العديد من الفلاسفة والمفكرون أن فلسفته واضحة لا تحمل أكثر من تفسير, فنظر إليها الخشت على أن الفلسفة الديكارتية لم تكن في الحقيقة ذات دلالة أو تفسير واحد بل في الحقيقة فهي تحتمل أكثر من تفسير , ويشوبها التناقض , وأن العقلانية مجرد قناع أخفي وراءه ديكارت خلفيته الإيمانية اللاهوتية . فهذه القواعد الأربعة هي في الحقيقة قواعد عقلانية ,لكن ديكارت:" سرعان ما يأتي بقاعدة تتضاد مع القاعدة الأولى , حيث يقوم موقفه الديني بالتسليم المطلق دون تطبيق قواعد الشك المنهجي".[59]

وبهذا المعنى فإن ديكارت يعود بنا إلى عقلية العصور الوسطى , التي تجعل من الدين سيدا للساحة الفكرية , وما العقل إلا أداة خادمة له , وبالتالي فإن ديكارت بهذا المعنى لا يعبر عن روح الحداثة , التي تسعى وتكرس كل طاقتها إلى إعادة الاعتبار إلى العقل وتخليصه من المعتقد الديني ومن التراث الذي يكدر صفوته ويعيق حركته.

أما ابن رشد يمكن اعتباره أكثر تعبيرا عن الحداثة العربية من خلال اعتبار العقل هو الحجر الأساس, " وإذا ما وجد بينه وبين الوحي تعارضا فإنه ينبغي تأويل الوحي بما يجعله متفقا مع العقل".[60]

وبهذا المعنى, يجمع ابن رشد بين الحكمة والشريعة , ذلك أن ابن رشد في الحقيقة لا يفصل بين العقل والوحي ,وربط بينهما من خلال عملية التأويل وفقا لضوابط ومحددات , ويعزز من لحمة ووحدة

---

[59] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق, ص40.

[60] : نفس المصدر, نفس الصفحة.

نص الوحي بالعقل, ذلك جعله يرفع الجدل القائم بين من يرى في العقل والنقل موضع الاختلاف والتناقض.

➢ المبحث الثاني: من العقلانية الى التعصب

➢ المطلب الأول: مفهوم العقلانية

يعد التفكير في مسألة العقلانية, مدخلا لاجتذاب إشكالات وقضايا عديدة يعيشها الفكر العربي المعاصر, إذ أن الحديث في خضمها , ليس مجرد نقاش دلالي, يمكن اختصار حدوده في اختلاف الدلالات المفهومية للمصطلح , بل هو نقاش مثقل بالمواقف والقضايا السياسية والعقدية. إذ كان مفهوم العقلانية من المفاهيم المحورية في الفكر الفلسفي, فإنه أيضا أكثرها خضوعا للجدل والاختلاف بين الفلاسفة والمفكرين وحتى المتكلمين, وبلغ هذا الاختلاف في تحديد دلالة هذا المفهوم حد الصراع .

هي القول بأولية العقل وتطلق على عدة معاني :

– الأول هو القول أن كل موجود له علة في وجوده بحيث لا يحدث في العالم شيء إلا وله مرجح معقول.

– وأما الثاني القول أن المعرفة تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية لا عن التجارب لا تفيد علما كليا.[61]

وبالتالي فإن العقلانية تجعل من العقل أساس المعارف ومنبعها, وهي تقابل بذلك المذهب التجريبي الذي يرى أن المعرفة نتاجها الحس والتجربة, والعقل يولد صفحة بيضاء , والتجربة هي من تولد المعارف لديه, في حين يذهب أنصار المذهب العقلاني بالقول أن العقل شرط أساسي في امكان التجربة, لأنه يولد مبادئ عقلانية تنظم هذه الإدراكات الحسية .

* والعقلانية عند بعض علماء الدين هي القول أن العقائد الايمانية مطابقة لأحكام العقل. ولهذه العقلانية ثلاث أوجه:

الأول: هو القول أن العقل شرط ضروري وكاف لمعرفة الحقائق الدينية.

الثاني: هو الإعراض عن جميع العقائد التي لا يمكن اثباتها بالمبادئ العقلية .

الثالث: هو الدفاع عن العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية .[62]

---

[61] : جميل صليبا, **المعجم الفلسفي**, الجزء الثاني, مرجع سابق, ص90.

– وبوجه عام يمكن القول أن العقلانية Rationality مفهوم يقول بسلطان العقل , ويرد الأشياء الى أسباب معقولة, والجذر الاشتقاقي الذي تشتق منه Rational , هو الاسم اللاتيني ratio , ومعناه العقل Reason. وبالتالي تصبح هذه الكلمة تدل على الإنسان العقلاني.[63]

أما معنى العقلانية من الناحية الاصطلاحية فهي:

يتحدد معنى العقلانية على بحسب المجال التي توضع فيه : الدين, علم الأخلاق, المنطق, العلم الطبيعي والرياضي...الخ , لكن الاستعمال الأكثر شيوعا ورواجا في الأوساط هو اقترانه بنظرية المعرفة, وتناوله بوجهة نظر دينية أقرب ما يكون من (الوحي) كمصدر للمعرفة.

والجدير بالذكر أن العقلانية في الفلسفة الحديثة كانت تستخدم لوصف الاتجاه المعارض للجانب اللاهوتي المسيحي الكنسي, باعتبار أن الثورة قامت على إحداث قطيعة مع المفاهيم الدينية والحط من سلطة الكنيسة الكاثوليكية , بينما حسم الأمر في الفلسفة الاسلامية , باعتبار أن العقلانية تخضع لخدمة الدين.

فموقف ابن تيمية في كتابه: " درء تعارض العقل والنقل", قد حسم الموضوع فيما يخص العلاقة بين العقل والنقل حين يقول:" ولكن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط" .[64] فهي لا تدل على موقف معاد للدين , بل توافقه ولا شك في الفلاسفة المسلمين قد جعلوا العلاقة بين العقل والنقل هي علاقة ضرورة وتوافق وانسجام , لهذا خصص لها ابن رشد مؤلفا كاملا عنونه بـ" فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال" وهو دليل على توافقهما وعدم التعارض.

---

[62] : الجرجاني , **<u>معجم التعريفات</u>** , تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير, القاهرة, 1413 ص3046.

[63] **:** محمود محمد علي محمد, **<u>مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمين</u>** , مطبعة محسن بسوهاج , 2008,**ص 05.**

[64] : ابن تيمية**, <u>درء تعارض العقل والنقل</u>**, تحقيق: محمد رشاد سالم, ج1, القسم الأول, (د.ط), د.س ,**ص147.**

➢ المطلب الثاني: أصول ومبادئ العقلانية.

يعد التفكير في مسألة العقلانية مدخلا لاجتذاب إشكالات وقضايا عديدة يعيشها الفكر.. فيناقش مفهوم العقلانية في الساحة الفكرية عادة تحت وطأة الإيمان بالعقل وبقدرته لذا فإن أصول ومبادئ العقلانية متنوعة ومختلفة ,لاختلاف زوايا النظر بين العقلانيين في تصورهم لطبيعة العقل.

ومن بين أبرز أصول ومبادئ العقلانية نجد:

أ)- العقل أصل المعارف اليقينية:

تستمد جميع المعارف وحدتها وصفاتها اليقينية من العقل, باعتباره مصدرا للمعرفة وأساسها الطبيعي وجوهرها, كون أن الحقائق الكلية الشاملة تتصف بالبداهة والشمول والوضوح ولا تكون هذه الصفات إلا بالعقل .ومن ثم إنكار دور الحواس باعتبار أن الحواس تخدع الانسان .

إن هذا الطرح العقلاني يلغي دور الحواس في المعرفة ويذهب إلى إنكار " القوانين الموضوعية في الطبيعة ".[65] وبالتالي فهو جحود في حق الحواس , والحقيقة أن كلاهما مصدر أساسي في كسب المعرفة والوصول إلى المعارف اليقينية , فكلاهما يكمل الجزء الناقص في الآخر وبالتالي لا يمكن إنكار دور أي أحدهما.

ب)- العقل والسببية:

تعتبر السببية(*) مبدأ عقلي , الذي يرى أن لكل شيء سببا, والغرض منها معرفة ما يجري في الكون والطبيعة , وما يحيط الانسان في إطار العلاقة الضرورية بين الأسباب والمسببات. وبالتالي لا يمكننا إثبات أو نفي وجود السببية في الواقع بمعزل عن العقل. وهي تعني علاقة بين طرفين أحدها يشكل السبب ,بينما الطرف الثاني يكون المتسبب (الأثر), وبالتالي فلا يعقل حدوث أمر دون تدخل هذين الشرطين في حدوثه.

---

65 : محمد عثمان الخشت,**العقلانية والتعصب**, مصدر سابق,ص 17.

(*): السببية: هي مبدأ يمثل العلاقة بين السبب والمسبب,فهو مبدأ عقلي يراد به أن لكل ظاهرة سببا يحدثها, فما من شيء إلا كان لوجوده سبب أو مبدأ يفسر وجودة. جميل صليبا,**المعجم الفلسفي** , مرجع سابق,ص649.

ت)- العقل في الشرع:

إن العقل هو الأساس في الإدراك والفهم والاستدلال والتفكير والإبداع,ولقد كرم الله الانسان بالعقل كونه الأساس للمعرفة الانسانية, فقد ورد لفظ العقل في القرآن الكريم في العديد من الآيات بشكل صريح, في قوله تعالى: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ 72 فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (البقرة: الآية 72 _73.)

وورد في أحيان أخرى عن صفاته مثل: (التفكر, التدبر...), وقد قيل :" إن العقل أصل لكل علم,وكان بعض أهل العلم يسميه أم العلم".[66]

ث)- العلاقة بين العقل والنقل:

اختلف الفلاسفة حول العلاقة بين العقل والنقل, فمنهم من رأى أنها علاقة انسجام وتوافق ومنهم من رأى أنها علاقة اختلاف وتعارض, فابن رشد في كتابه " فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال إلى القول :" فأما الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها به" .[67]

والواضح من هذا القول, أن ابن رشد يرى أن الانسان يستطيع أن يتعرف على الموجودات في العالم الخارجي عن طريق البحث العقلي, وبالتالي فإن معرفة الله ممكنة من خلال معرفة الموجودات .

وابن تيمية(*) يلخص هذه العلاقة في قوله:" ولكن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط".[68]

---

[66] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق,ص20.

(*): ابن تيمية(1263-1328): هو ابن تيمية تقي الدين بن أحمد, فقيه حنبلي وإمام سلفي, ولد وتوفي في دمشق, كان من ألد خصوم الفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة, وقد استلهم فكره من دعاة السلفية في القرن التاسع عشر,ارتحل إلى مصر سنة 1305م. وهناك وضع رسالته المعروفة " الرسالة الحموية", ردا على المنطقيين ,دحض المنطق اليوناني ودعاوي كبار الفلاسفة من أمثال الفارابي وابن سينا وأهم كتبه:إطلاقا منهاج السنة 1316 , ردا على منهاج الكرامة للعلامة الحلي, واتهم بالتجسيم والتشبيه , حوكم وسجن مرتين وتوفي في السجن. جورج طرابيشي, **معجم الفلاسفة**, مرجع سابق, ص 19-20.

[67] : المصدر السابق , ص20.

[68] : ابن تيمية, **درء تعارض العقل والنقل**, مرجع سابق,ص147.

أي أن العلاقة التي تجمع بين العقل والنقل هي علاقة اتفاق وتوافق,فالعقل وسيلة لفهم الشرع. وبالتالي بحسب ابن تيمية فإن النقل الصحيح لا يعارض العقل الصحيح ,فبرأيه أن ليس في العقل ما يخالف الشرع, وأن باجتماعهما نستطيع إدراك الحقائق الشرعية.

ج)- العقل وخوارق الطبيعة:

يذهب بعض الفلاسفة العقلانيين إلى عدم الإيمان بالخوارق الطبيعية (كل ما هو غير مألوف), مثال عن ذلك هيوم فقد أنكر كل أمر خارق عن الطبيعة يقول:" إن حماقة الناس وخداعهم هما من الظواهر العامة.. إنني أفضل الاعتقاد بإمكان اتفاقهم على أكثر الحوادث شذوذا.. من أن أسلم بخرق واحد واضح لقوانين الطبيعة".[69]

في حين أن هناك من الفلاسفة من يؤمن بالمعجزات وفسرت على أساس أسس عقلية,على سبيل المثال : اسبينوزا و ليبنتز.

---

[69] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق,ص22.

- المطلب الثالث: التعصب من التطرف العلماني والتطرف الديني.

إن من بين أبرز المؤثرات الفكرية التي تواجه المسلمين في العالم المعاصر, وتهدد عقائدهم وأخلاقهم بالشبهات والأهواء الضالة والشهوات ..الخ ,فكريين متضادين:

أولهما: التطرف العلماني الذي يدعوا إلى التحرر من شريعة الإسلام وأخلاقه, كما تدعوا إلى الحد من إبراز شعائر الدينية ,والتي تسعى إلى تضييق مساحات تواجدها في الشأن العام. فهو يهدد الأمن العام ويهدد النسيج الاجتماعي ويمس باستقرار المجتمع, وهو بدوره (التطرف العلماني) ,تغذيه جماعات وتيارات ودول,لأن تواجده ليس عبثيا بل من أجل مصالح وغايات مخططة ومكائد مدبرة, من خلال خلق التوتر واستثارة غضب الشعب من خلال برامج ودعايات أو خطابات عبر وسائل الإعلام الهابطة, توضع تحت عناوين زهرية لتخفي في خباياها ما عظم من المكر واعتداء على الضمير الجمعي للأفراد المجتمع ,فهي تهدف لخلق التطرف والتعصب داخل المجتمع ومهما كان نوع هذا التطرف سواء أكان دينيا أو علماني أو إلحادي وجب التصدي له ومواجهته والتحذير منه.

وثانيهما: التطرف الديني الذي يدعوا إلى التعصب الممقوت للرأي الشخصي والفكر الطائفي,والذي يكون بالنتيجة جماعات متشددة والأخطر من ذلك تكون جماعات إرهابية متعصبين للدين الذين يتخذون من العنف والقتل أداة . متسترين وراء ستار الدين,بينما أن الدين الحنيف بريء من كل ذنب اقترفته ايديهم بغير حق. وإنما عائد إلى الفهم الخاطئ للدين فهم مصابون بداء التطرف.

وكلا الطرفين سواء أكان تطرف ديني أم علماني, فإنه يشكل خطر وفساد كبير في المجتمع, ويفتح باب الغلو والتشدد ويبث الكراهية والحقد في المجتمع, وبالتالي من الواجب التصدي لهذه الظاهرة المقيتة من خلال نشر برامج توعوية,ومن خلال الإعلانات والخطابات التي تزيد من وعي الشعب بهذه الظواهر ,الحل في مواجهة هذه الآفة هو سلاح المضاد, ولابد بالتالي من أن يواجه هذا التطرف والانحراف بالعقيدة الصحيحة والفكر الصائب.

وهو ما بينه الله تعالي في محكم تنزيله:{ **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**} (الأنعام: الآية108).

وهو دليل واضح على مدى أهمية العقائد عند الناس, وهو موضوع حساس جدا,والواقع أن الناس قد يتسامحون في حقوقهم الشخصية ويغفرون الإساءات الذاتية, ولكنهم لا يتسامحون أبدا مع من يسيئون,لأديانهم أو يمسون بمعتقداتهم ,فكما توضح الآية الكريمة فهي تثير حفيظتهم ويستفزهم ويستثير غضبهم ويدفع بهم إلى تطرف(*) مضاد وهذا يدخلنا في دوامة من الصراع.

ويرى الدكتور محمد عثمان الخشت بأن المنشأ الأول للتعصب يكمن في: " طبيعة منهج التفكير".[70] كون أن العقل المتطرف أو الدوجماطيقي هو عقل منغلق على نفسه, ومن الصفات التي نجدها لدى كلا الطرفين:

- الاستئثار بالحقيقة ونفي الآخر.
- ثقافة التسلط والتآمر وعدم البحث عن أرضية مشتركة.
- الانغلاق على نظام قيم معين بصورة جامدة.
- عدم الرغبة في فتح قنوات الحوار(تبنيه ثقافة التبرير).[71]

فالعقل المتطرف هو عقل مغلق على نفسه , ويعتبر نفسه الوحيد الذي يملك الحقيقة ,وبالتالي فهو لا يعترف بالرأي الآخر, فهو متعصب لرأيه, فهو يتبنى ثقافة التبرير لنفسه ولآرائه ولا يرغب في مشاركة أحد في السلطة, كل هذه الصفات الممقوتة , وهذا ما يشكل لنا اليوم بما يسمى الإرهاب ,قد يرجع هذا لعدة أسباب على سبيل المثال: نظام التلقين الذي نشهده اليوم في القطاع التعليمي, الذي يكون شخصية تلميذ يعتمد بشكل كلي على الأستاذ, فهو يقتل روح النقد والاختلاف والمقارنة,و يتدرب بشكل غير مباشر وغير واعي على تبني رأي واحد. مما يبني شخصية التلميذ المنغلق وإنما في دول الأخرى تجعل من الطالب يتبنى العديد من الآراء بالإضافة إلى رأيه الخاص لكن بشكل محايد ,وهذا ما يكون عقلية مستنيرة مثقفة ومطلعة على كافة جوانب.

إن الإسلام هو دين الحق ; الذي لا يقبل الله تعالى دينا غيره,قال سبحانه وتعالى {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] (آل عمران:19)

ويكفي أن دين الإسلام هو دين الرحمة ودين اليسر ,ودين الأمن والأمان والسلام,ودين العدل والاعتدال, وإن من أبرز المؤثرات الفكرية التي تواجه المسلمين اليوم في العالم المعاصر,وتهدد صفوة

---

[70] : محمد عثمان الخشت, **العقلانية والتعصب**, مصدر سابق,ص69.

[71] :نفس المصدر,ص70.

(*): التطرف الديني: هو الشطط في فهم مذهب أو معتقد أو فلسفة أو فكر ,والغلو في التعصب لذلك الفهم, وتحويله إلى حاكم السلوك الفرد أو الجماعة التي تتصف به والاندفاع إلى محاولة فرض هذا الفهم والتوجه على الآخر بكل الوسائل ومنه العنف والإكراه. انظر: راشد المبارك, **التطرف خبز عالمي** ,دار القلم , (ط1), سوريا, 2006,ص21.

عقائدهم وأخلاقهم شيوع الآفات الاجتماعية,والشهوات والأهواء وانحلال في الأخلاق وهذا راجع في أصله إلى كما سبق الذكر :

التطرف العلماني الذي يدعوا إلى التحرر من شريعة الإسلام وأخلاقه , وينشر الإباحية ويضرب في صلب المبادئ والقيم الاسلامية,والانحراف الديني والتعصب للرأي وفتح باب الفتن والمغالطات والكراهية بين صفوف المسلمين. وأن من الحلول التي يمكن اقتراحها لحل هذه الأزمة العويصة التي اجتاحت حضاراتنا الاسلامية , هو الأمن الفكري الذي يسعى إلى حماية العقيدة والأخلاق من الزيغ والانحراف ; الذي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال نشر الوعي بين أوساط المجتمع ,بالاعتماد على وسائل الإعلام واللقاءات العلمية والندوات ....الخ وهذا لا يكون إلا بالحث على التمسك بالدين الحنيف ,والالتزام بأخلاق وقيم الخلف الصالح والتحلي بأخلاقهم وصفاتهم.

المبحث الثالث: تجديد الفكر الديني في مشروع الخشت التنويري

(بين الإمكان والإستحالة).

تمهيد

لقد حظي الخطاب الديني في مطلع القرن العشرين, على اهتمام كبير في الحضارة الإسلامية .كونه يعد من أهم القضايا التي شغلت اهتمام العديد من العلماء والفقهاء والمفكرين,فصارت بذلك موضوعا للباحث والسياسي والإعلامي... وكل يدلوا بدلوه في هذه المسألة ,باعتبار أن الدين لا يرتبط فقط برجال الدين ,بل هو قضية كل مسلم . لارتباطه المباشر والوثيق بمشاكل الواقع وتحدياته. فظهرت العديد من الآراء والدراسات المتباينة ,فراح بعضها يفسر ,والآخر يبرر,بينما طرح البعض فكرة تجديد الخطاب الديني الإسلامي.

مفترضين أن ما يصلح في القرن الثاني للهجرة ربما لا يصلح في القرن الخامس عشر الهجري,والأسلوب الذي كتب به الخطاب الديني في عصر ما . قد لا يكون صالحا بالضرورة لكل عصر ,وخاصة العصر الحديث.

كون أن المجتمع العربي الإسلامي بحاجة ماسة إلى عملية تغيير عقلاني جديد فعال وجاد, يشمل هذا التغيير أساليب التفكير والسلوك والقيم. من أجل بناء نهضة عربية شاملة بمنطق عقلاني نقدي جديد واحداث صحوة نوعية من عملية التقليد والفهم الخاطئ للخطاب الديني . ومن هنا نتطلع إلى نظرة جديدة للخطاب الديني بالاعتماد على منهج عقلاني تنويري يتناغم مع مبادئ عقلانية منطقية سليمة,تحمي الانسان من التعصب الفكري ويفتح عقله على التفكير الناقد.

ويصبح الإصلاح ضرورة من توفير مقومات النهضة والتغيير والتطور, فبدون التجديد لا يمكن أن تنهض الأمة العربية الاسلامية ,في حين أن يحمل الوضع القائم على عدة عواقب وخيمة على مجتمعنا ,فقد رأينا كيف أنتج الخطاب المتشدد المنظمات الإرهابية,وبالتالي لابد من التعامل بحذر شديد مع هذه المسألة . ما مدى تعاطي الخطاب الديني المعاصر مع اشكالات وتحديات الوقت الراهن؟

➢ المطلب الأول: مفهوم الدين

إن البحث المنطقي السليم , هو الذي يقتضي ضرورة طلب تفسير لحقيقة معينة, بدءا من معرفة عناصرها ومكوناتها وماهيتها الحقيقية ومقوماتها الكلية , قبل الأخذ في البحث عنها . فمن أجل البحث في مسألة فكرية – علمية أو فلسفية – يقتضي حتما التأسيس لها من خلال تحديد مفاهيمي للألفاظ ومصطلحاتها, فلابد لنا ونحن بصدد الولوج إلى إحدى أعمق المسائل والإشكاليات, التي أثارها الفكر الانساني أن نشرع بداية في ضبط المصطلحات التي تؤسس لبحثنا لكن قبل ذلك لابد من طرح بعض الأسئلة التي تخدم موضوع هذا الفصل وهي : ما الدين ؟ وكيف نشأ الدين ؟ وما هو المنهج المعتمد في تجديد الفكر الديني ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة , لا غنى لنا عن الرجوع قبل كل شيء الى معاجم اللغة العربية, لنستأنس بما دونه اللغويون فيها من وجوه الاستعمال لهذه الكلمة .

فالدين له معان ودلالات شتى , وبما أن المفاهيم والمصطلحات تشكل حجر الأساس , في البناء الفكري لأي نسق معرفي وجب علينا الاهتمام أولا بتحديد هذه المفاهيم وتوضيحها . فبمقتضى معناه اللغوي في المعاجم والقواميس اللغوية يمكن حصر معانيه في :

« الدين في اللغة هو العادة والحال والسيرة » . **أو هو« العادة والحال والسيرة ,السياسة , الرأي ,الحكم ,الطاعة »** [72]. ويعتبر الدين عادة كون أنه لا يمكن للإنسان أن يعيش من دون دين مهما كانت نوع الديانة : (سماوي أو وضعي) ,لذلك هو عادة إنسانية – **أي تخص الإنسان دون سواه** – تختلف من جماعة – **أو قبيلة** – إلى أخرى باعتبار أن الدين لا يكون للمفرد بل للجمع يحكمه نظام معين . تحت سلطة معينة ,تهتم بتنظيم شؤون هذه الجماعة وتحكم بينهم بالعدل.

– **وقد تحمل كلمة « الدين »** ثلاث معان كل حسب السياق التي توضع فيه , فهي تتضمن بذلك ثلاث أفعال آلا وهي :

---

72 : جميل صليبا, **المعجم الفلسفي** , المجلد الأول , دار الكتاب اللبناني , بيروت 1978,ص572.

– وتؤخذ كلمة«الدين » تارة من فعل متعد بنفسه مثل : (دانـه يدينه). وتارة تؤخذ من فعل متـعد باللام : (دان لـه) , وتارة أخرى تؤخذ من فعل متعد بالبـاء مثل :(دان بـه).[73] فيأخذ الدين هذه المعاني والتي يمكن القول أنها تشترك في نوع من الإخضاع والحكم والإلزام والانقياد لحاكم ما , ينظم أمور حياتهم بسلسلة من القواعد والأحكام تحكم في سلوكهم ,ولذلك نجد أن من أسماء الله الحسنى الملك أي المتصرف في ملكه كما يشاء , المهيمن أي الذي يسيطر على كل مخلوقاته كما يشاء,**الجبار** أن ينفذ مشيئته على سبيل الجبر,القهار .... الخ.

وهنا يمكن القول أن رغم الاختلاف الظاهر في سياق الكلام , إلا أن محور الحديث عن الدين يؤدي بنا إلى مصب واحد, آلا وهو أن الدين هو حالة من الخضوع التام للإله, وإلزام الانقياد لأوامره واجتناب نواهيه .

ويعرفه مجمع اللغة العربية بأنه: « **مجموعة من المعتقدات وعبادات مقدسة تؤمن بها جماعة معينة , يسد حاجة الفرد والمجتمع على السواء , أساسه الوجدان وللعقل مجال فيه »** .[74]

فالدين كما سبق القول, أنه نظام اجتماعي – ثقافي ,أي أنه يحملا ثقافة معينة تحمل العديد من الطقوس والشعائر والأخلاق والسلوكيات والممارسات ,التي ينتهجها وسير وفقها الإنسان ,من أجل تدبير أمور حياتهم وتسييرها وتصريفها . بحيث أن أساس هذا الايمان ومنبعه, هو الوجدان الذي يدفع الانسان الى الطاعة والخضوع .الى هذا الدين فهو عبارة عن دافع من قوة باطنية داخل الانسان تدفعه الى طاعة والانقياد الى هذا الدين .

– ويعرفه لالاند:« هو منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة, أي منفصلة محرمة ,وهي معتقدات وممارسات تجمع في إيلاف أخلاقي واحد».[75]

---

[73]:محمد عبد الله دراز , <u>**الدين – بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**</u> , دار القلم , الكويت, 1952, ص30.

[74] : ابراهيم دكور , <u>**المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية**</u>, الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية , القاهرة , 1983, ص86.

[75] : أندريه لالاند , <u>**موسوعة لالاند الفلسفية**</u> , المجلد3, تعريب خليل أحمد خليل, منشورات عويدات,ط2, باريس , 2001. ص 1206.

* ويتصف أي دين بما يأتي :

- الاعتقاد في المطلق
- تحديد علاقة الفرد بهذا المطلق
- ممارسة الشعائر وطقوس معينة .[76]

أي الاعتقاد الكامل والشامل والثابت في حقيقة مطلقة آلا وهو " الإله" , وبالتالي تتحدد علاقة هذا الكائن (النسبي أي الانسان) ,القابل للفناء بهذا المطلق (الإله) , من خلال الطاعة واقامة الطقوس والشعائر تعبيرا عن الخضوع المطلق لهذا المطلق . فأي دين مهما كان نوعه فهو في نهاية الأمر يخضع إلى هذه الشروط الثلاثة . على سبيل المثال الدين الإسلامي فإن من بين أركان الإيمان (شروط الإيمان) , هي الإيمان بالله وهنا يتحقق الشرط الأول , ثم يليه العلاقة بين هذا الكائن بمطلق فالإنسان هو خليفة الله في الأرض فلابد له من الخضوع والاستسلام لأوامره واجتناب نواهيه , وفي الأخير من شروط الطاعة هو الإلتزام من خلال بعض الشعائر والطقوس كالصلاة والصيام .... الخ .

اصطلاحا

وبما أن المفاهيم والمصطلحات تشكل حجر الأساس في البناء الفكري لأي نسق معرفي وجب علينا الاهتمام أولا بتحديد هذه المفاهيم وتوضيحها, فيعرفه أهل الاصطلاح بتعريفات متنوعة . فالتعريف الشائع الذي تم تداوله هو الايمان بقوة عليا متعالية مطلقة يخضع لها البشر جميعا توجهه حياتهم وأخلاقهم وسلوكياتهم كلها , في حين أن هذا التعريف لا يشمل على جميع المعتقدات الموجودة في العالم. ومنه تعذر إعطاء تعريف جامع مانع للدين, فلقد تعددت الآراء واختلفت وتباينت حول تحديد مفهوم الدين. في حين تظل هذه التعريفات ضيقة لها نظرة محدودة ,لا تشمل كل الجوانب الصحيحة التي يكتنفها الدين بل تقتصر على الظاهر منها فقط , دون التعمق فيها. لذلك نجد أن التعريف الفلسفي يختلف عن الاجتماعي والنفسي وعن التعريف الديني كل يعرفه حسب وجهة نظره .

---

[76] : مراد وهبه ,**المعجم الفلسفي** ,دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع , ط5, 2007,ص317.

أ/– التعريف الفلسفي للدين:

تتعدد التعاريف وتختلف بتعدد الآراء وتنوع الفلاسفة , فلا يوجد اتفاق بين الفلاسفة على تحديد ماهية الدين , فكل منهم يعبر عنه ويفسره على حسب وجهة نظره الخاصة , وهذه هي طبيعة الفلسفة فهي متشعبة تحمل أكثر من رأي , وفيما يلي بعض أهم التعريفات التي قدمها الفلاسفة للدين :

فكانط يعرف الدين في كتابه **(الدين في حدود مجرد العقل) على أنه : « معرفة بكل واجباتنا بوصفها أوامر إلــهية »** .[77]

فيرى كانط أن الدين الحق الصحيح هو الدين القائم على أداء الواجبات الأخلاقية كونها أوامر إلهية , فالدين يرتبط ارتباط وثيق بالأخلاق , كون أن فلسفة كانط ذات الطبيعة الأخلاقية تنظر الى الدين كونه التزام بهذه الأوامر.

في حين يرى هيجل في كتابه " قراءات في فلسفة الدين", أن الدين **:" هو الروح واعيا جوهره ... هو ارتفاع الروح من المتناهي إلى اللامتناهي "**.[78] وهكذا فإن مفهوم الدين يتحدد حسب هيجل أنه سمو وحركة المتناهي نحو اللامتناهي, أي علاقة الإنسان بهذا المطلق , أي وعي الإنسان بالله (المطلق) ,ويعبر عنه هيجل هو شعور ووعي الإنسان بتبعيته للمطلق , فتكمن معرفة الانسان في البحث عن العلة الأولى من خلال ذاتيته .

ولقد أورد محمد دراز في كتابه (الدين) بعض التعريفات الفلسفية الغربية لمفهوم الدين نجد:

شلاير ماخر في (مقالات عن الديانة) :" قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة ".[79]

وفي هذا السياق , يقدم شلاير ماخر صياغة جديدة للدين , بعيدة عن ما سبق عرضه من مطارحات عقلية منطقية , فيكتسي مفهوم الدين عند شلاير ماخر صبغة الإيمان والتصديق والتسليم

---

[77] : ايمانويل كانط ,**الدين في حدود مجرد العقل** , ترجمة فتحي المسكيني , جداول للنشر والتوزيع , الطبعة الأولى ,بيروت ,2012,ص243.

[78] :محمد عثمان الخشت, **مدخل الى فلسفة الدين** , مصدر سابق , ص 18.

[79] : محمد عبد الله دراز ,**الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)** , دار القلم , الكويت ,1952 ,ص 34.

المطلق للإله, والإيمان المطلق بالحقائق الدينية , وشعور الانسان اتجاهها يمثل الحاجة الحقيقية لهذا لجوهر المطلق. وأن هذا الشعور يكمن في حاجة البشر للعقائد , وتبعيته لهذا المطلق.

ب/- تعريف علماء الاجتماع : ينظرون للدين على أنه ظاهرة اجتماعية تقوم على مجموعة من الممارسات والاعتقادات والسلوكيات وعادات وقيم ومثل وخبرات تخضع لوحدة مطلقة في منظومة ثقافية اجتماعية , بيد أن الدين عندهم لصيقا بالعادات والتقاليد ,لكل مجتمع فهو يمس كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية ويشكل طرق التفكير ويملي كيفية العيش ذاتها . في هذا الصدد يقول **دوركايم في** كتابه : (الصور الأولية للحياة الدينية) " **الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة** (أي المعزولة المحرمة) "**اعتقادات وأعمال تضم أتباعها في وحدة معنوية تسمى الملة** " .[80]

ويجدر الإشارة الى أن الأديان تشترك في جوهرها - بغض النظر على مصدرها – سواء أكانت ديانات وضعية (وهي من ابداع العقل والوجدان البشري) أو ديانات سماوية التي تعتمد على نصوص وتوجيهات ربانية موجهة للبشر عن طريق الرسل والأنبياء, وبالتالي يمكن اعتبار أن معظم الأديان تشترك في مضمونها على العناصر التالية :

أ)- مسائل الاعتقاد : إن من المسائل التي تشترك فيها الأديان هو الاعتقاد العقلي بفكرة معينة مشحونة بالمشاعر اتجاه شيء ما , في حين أنها لا تقبل المناقشة أبدا مهما كانت فكرة صحيحة أو خاطئة , فهي عبارة عن اعتناق فكرة ما وتبنيها بطريقة عقلانية وجدانية , مثل الاعتقاد بوجود الآلهة تحكم البشر جميعا .

ب)- مسائل العبادة : يشير مصطلح العبادة في أغلب الديانات إلى عمل يقوم به الانسان ليعبر به عن خضوعه وانقياده لأوامر الإله , وهي تعبر في ذات الحين عن الطاعة والإذلال للإله . وهذه العبادة تحمل في طياتها مجموعة من الطقوس والشعائر فهي الجسر الناظم لأفعال العباد في حياتهم اليومية , وهي تحمل عدة اعتبارات من بينها المنع والتحريم والوجوب (**الأوامر**) مثل قوله تعالى :**{ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر }** (العنكبوت : **45**)

---

[80] : محمد عبد الله دراز ,**الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)** , ص 36.

ج)- مسائل الحظر والإباحة[81]: لابد لكل ديانة أن تشتمل على مسائل الحظر والتحريم , **والتحريم (المنع والحد)** هنا هو كل ما لا يمكن انتهاكه أو المساس بحرمته , والتحريم هو ضد الإباحة والتحليل , وأنه لو نظرنا الى مسائل التحريم والاباحة في الدين الإسلامي لوجدنا أن الآيات الدالة على التحريم والمنع عددها أكثر من الإباحة, مثل قوله تعالى :**{ وأحل الله البيع وحرم الربا }**. (البقرة : 275) ,**{ ولا تقربوا الزنا }** (الإسراء :32). **{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله }**.(البقرة : 278-279).

فهي تصريح واضح بالتحريم والحظر والتهديد بالعقاب الشديد لفاعله .

ويمكن اعتبار أن ماهية التحريم ترتبط ارتباط وثيق بعنصر **الفداء أو ما يسمى القربان** , وهو عبارة عن تضحية تقدم للإله والغرض منها الخلاص و غفران الذنوب أو رفع بلاء ما , فهو عبارة عن طقس تكفيري في الأساس ,وهي موجودة في الديانات السماوية وحتى الوضعية منها وغيرها , فالتضحية أو القربان هو ركن أساسي في هذه الديانات ,وطقسا من طقوس العبادة مثال ذلك أمر الله تعالى بالتضحية بالبقرة الصفراء : **{ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة}**. (البقرة : 67)

وبالتالي فإن علماء الاجتماع يعرفون الدين من خلال الإشارة الصريحة الى : " فكرة المقدس , وليس على أساس الإيمان بالإله... التي هي موضع خشية ورهبة ومن المحرم المساس بها " .[82]

وهذه النظرة الى الدين من هذه الزاوية تمكن علماء الاجتماع الديني, من دراسة الدين باعتباره ظاهرة اجتماعية ضمن منظومة ذات سلسلة مترابطة من العقائد والممارسات المقدسة , ومن المقارنة بين الأديان من خلال فكرة المقدس وليس الألوهة , بيد أن الألوهة ليست مشتركة بين جميع الأديان. في حين أن المقدس يعتبر عامل مشترك بينهم .

ج/- الدين لدى العلماء المسلمين:

---

[81] :عبد الناصر بن موسى أبو البصل, **تحرير المفاهيم والمصطلحات (الدين ,الحرية , محكمات الشريعة , الانحرافات الفكرية)** , مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة , رابطة العالم الاسلامي , المجمع الفقهي الاسلامي , مكة المكرمة ,دون سنة , ص **18**.

[82] :محمد عثمان الخشت, **مدخل الى فلسفة الدين** , مصدر سابق, ص 15.

لقد تطرق العلماء المسلمين الى مصطلح الدين وأولوه اهتماما كبيرا , باعتباره قضية مطروحة بشكل كبير , من أجل الفهم الصحيح للدين , في حين سيتناول التعريف للدين من وجهة نظر علماء الاسلام بالإضافة الى

فالدين عند الجرجاني هو : " هو وضع إلهي يدعوا أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم[83]. ولقد اجتمع العلماء المسلمون على تعريف الدين بأنه : " **دين الله المرضي الذي لا لبس فيه , ولا حجاب عليه , ولا عوج له , هو اطلاعه تعالى عبده على قيوميته الظاهرة بكل باد, وفي كل باد, وأظهر من كل باد, وعظمته الخفية التي لا يشير اليها اسم , ولا يجوزها رسم , وهي مداد كل مداد .**

فيتضح من خلال هذين التعريفين, أن الدين بالمعنى الاسلامي يقتصر على الإيمان والتصديق , بما جاء به **النبي صلى الله وسلم** , وعدم التشكيك في رسالته الموحى اليه من الله عز وجل . **في** حين أن الموسوعة الفقهية تعرف « **الدين اصطلاحا فانه – عند الإطلاق – يراد به ما شرعه الله لعباده من أحكام , سواء ما يتصل منها بالعقيدة أو الأخلاق أو الأحكام العملية**".[84]

وخلص **الدكتور محمد دراز** الى تعريف الدين بعد أن استعرض طائفة من التفسيرات والتعريفات المختلفة لدين في حين أنه تناولها بالنقد وتوصل في الأخير الى محاولة جديرة بالاهتمام الى تحديد الأقرب للصحة للدين وعرفه بأنه :" الاعتقاد بوجود ذات – أو ذوات – غيبية علوية ,لها شعور واختيار ,ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الانسان .إعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذرات السامية في رغبة ورهبة , وفي خضوع وتمجيد " .[85]

إن غالبا ما يرتبط تعريف الدين عند علماء الاسلام, بالاعتقاد أو الايمان بأنه يوجد متعالي سامي مطلق, يحكم الانسان ويسير شؤونه في الدنيا , مما يجعل هذا الانسان يخضع لأوامر هذا الإله .

---

[83] :الجرجاني **, معجم التعريفات** , تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير, القاهرة, 1413,ص92.

[84] :عبد الناصر بن موسى أبو البصل , **تحرير المفاهيم والمصطلحات (الدين .الحرية, محكمات الشريعة , الانحرفات الفكرية)** , مرجع سابق , ص 15.

[85] :محمد عبد الله دراز ,**الدين (بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان)** ,مرجع سابق , ص 52.

وعرف الدين باعتباره حقيقة خارجية فقال :" هو جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية , وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها " .[86]

إنه لا يمكن تعريف الدين دون الرجوع الى تعريفات وتحليلات النقدية التي عالجها **الدكتور محمد دراز** في **كتابه الدين** , فهو لم يقتصر على المفهوم العربي الاسلامي للدين , بل تناول العديد من التعريفات الغربية , وأوجد في الأخير تعريف جديد **للدين كما سبق ذكره** , ويمكن القول أن هذا التعريف ,أقرب ما يكون من التعريفات الغربية , فهو يفقد الى الروح العربية.

➢ المطلب الثاني: نشأة الدين

إن الحقيقة التي يجب أخذها بعين الاعتبار ,أن لا تخلو أي مرحلة تاريخية من الجانب الديني. فمثلما أن الانسان بحاجة الى الجانب البيولوجي المتمثل في الغذاء , فكذلك هو بالحاجة الى الجانب الروحي ,الذي يتمثل في الارتباط بهذا الكائن المقدس المطلق . فقد اختلف العلماء والفلاسفة حول أصل الدين ومنبعه الحقيقي ,وضبط مراحل تطوره . فلقد اختلفت وجهات النظر والتفسيرات لأصل نشأة الدين . وأنه عند البحث في أصل هذا الاختلاف, نجد أن هذا الاختلاف يمكن في اختلاف زوايا النظر للظاهرة الدينية , فالتفسير الفلسفي يختلف عن الديني و الاجتماعي وغيره .

وبالتالي يمكن حصر ثنايا هذا الاختلاف في قسمين رئيسيين , أما القسم الأول : فهو يتناول السياق التاريخي التقليدي , بينما القسم الثاني : يضم الجانب التطوري الذي جاء بعدة اتجاهات ليبرز الأصل الحقيقي لنشأة الدين . لهذا نطرح الأسئلة التالية : **ماهو أصل الدين ؟؟** وكيف نشأ الدين في الأغوار السحيقة من تاريخ البشر؟

لم يغادر التفكير الفلسفي من بحث و تحليل لقضايا الدين والألوهة والمقدس منذ نشأة التفكير . فلقد انشغل التفكير الفلسفي في مختلف لحظات تطوره بنشأة الدين , وبالرجوع إلى المسار التاريخي للتفكير العقلي للدين , فقد مرت فلسفة الدين عبر مراحل تاريخية مختلفة في الفكر الغربي , وهي المراحل الأربع التقليدية التي أرخ لها الفكر الغربي عموما . **متى ظهر الحدث الديني ؟**

---

[86] :المرجع نفسه. نفس الصفحة.

شهد موضوع الدين اهتمام بالغ من طرف العديد من المجتمعات عبر مراحل التطور التاريخي , بيد أنه من الملحوظ أن أصل الفلسفة كان عند اليونان , بينما « **الميثولوجيا *وجدت قبل الفلسفة** »[87].

ويمكن تفسير ذلك كون أن الفلسفة غايتها الأولى هي البحث عن الحكمة والحقيقة بغية الوصول إلى السعادة أو الخير وبالتالي أسبقية الدين عن الفلسفة يمكن لهذه الاخيرة من التطرق والخوض في هذه المسائل أمرا ممكنا .

من الضروري الإقرار أنه يصعب « إيجاد نظير في اللغة اليونانية لكلمة(religio) اللاتينية , وإن وجدت نظائر لها (...), لليونانيين مفهوم التقوى (eusebeia) ,تحدث عنه أفلاطون في محاورتي أوطيفرون والقوانين ,لا يفيد معنى النفس التقية بقدر ما يعني الالتزام بتطبيق الطقوس والصلوات التي تستلزمها العبادة المرعية في المدينة ».[88]

لم تكن لفظة الدين متداولة أو معروفة في الحضارة اليونانية لكن تم التداول على العديد من العبارات الدالة على الدين مثل : **(التقوى , الطاعة , الأخلاق , الفضيلة , الخير والشر ....)**, فلقد كانت الميثولوجيا الدينية الإغريقية مبنية على آلية السرد ,والتي اعتبرت بمثابة أداة للخطاب الديني.

أما القسم الثاني يرى أن طبيعة نشأة الدين مر عبر مراحل تطورية ويعممونها على الإجتماع الديني الإنساني بأسره, تبدأ من فكرة أن الدين كأي ظاهرة إنسانية أخرى يمر عبر حركة الحضارة الإنسانية التي تتميز بالتطور والارتقاء من الأدنى إلى الأعلى, على شكل بناء هرمي , بدءا من النظرة التعددية للآلهة وصولا إلى الوحدانية. ورغم اتفاق النظريات التطورية حول المعنى العام لحركة التطور إلا أنها اختلفت في تحديد طبيعة كل مرحلة من مراحل هذا التطور ,حيث ولدت عدة تفسيرات , من أهمها :

أ)– التفسير الطبيعي للدين:

---

[87] :جان غروندان , فلسفة الدين , ترجمة وتعليق : عبد الله المتوكل , مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع , لبنان , بدون سنة , ص 35.

[88] :المرجع نفسه, ص53.

فيرى أصحاب المذهب الطبيعي الذي يمثله "ماكس ميلر", أن النشأة الأولى للدين كانت عن طريق " عبادة مظاهر الطبيعة".[89] كون أن الإنسان البدائي رأى أن كل الكائنات الحية تخضع جميعها لقوى الطبيعة على سبيل المثال : أن الظواهر الطبيعية التي تحدث فجأة كالزلازل والبراكين والصواعق قد أرهبت الإنسان البدائي لأنه لا يدرك حقيقتها , مما جعله يخاف منها , وبالتالي التعبد لها خوفا من بطشها وغضبها عليه.

إلا أن تكرار الظواهر الطبيعية يجعلها اعتيادية , لا تدفع إلى الافتراض الى ضرورة تعبدها أو تعليلها , وإذا فرضنا صحة القول بأن ما دفع الإنسان إلى تعبد هذه الظواهر والحوادث الطبيعية هي الدهشة , فإن أصل عبادة الإنسان الأولى للقوى العليا الطبيعية كان نتاج لدهشته وحيرته منها , وليس للبحث عن آلهة تحميه, إذا كيف نفسره لعبادته لقوى تافهة كالأحجار والحشرات وغيرها ؟ .

ب)- التفسير الحيوي للدين:

فيرى أصحاب هذا المذهب الحيوي لإدوارد تايلور بأن الإنسان البدائي قد تمثلت لديه الأرواح في أحلامه , وراح يربطها في الواقع وكأنها حقيقية وهي متجسدة في بعض الأشياء , وقد ذهب إلى الاعتقاد في " الأرواح الفردية وعبادتها".[90] وبالتالي فإنه يعتقد بأن أرواح الموتى تبقى في الواقع وهو يتشكل كطيف في الأحلام . وبالتالي فإن الانسان عند موته يفنى جسده وتبقى روحه تتجسد في الأشخاص والأشياء .

ت)- التفسير الما قبل حيوي:

وهو مذهب يعتقد فيها الإنسان بوجود قوة واحدة منتشرة في العالم هي (المانا) , وهي في الحقيقة نشأت عن طريق الأرواح , فالاعتقاد بوجود قوى خارقة موجودة في اغلب التفسيرات والمجتمعات البدائية , وهم يعتقدون أن هذه القوى موجودة في الواقع ويمكنها أن تحل في الأشخاص

---

[89] : محمد عثمان الخشت, <u>الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم</u> ,مصدر سابق , ص13.

[90] : نفس المصدر , نفس الصفحة.

وتمنحهم قدرات وصفات لم تكن فيهم من قبل وفي هذا يمكن القول أن: " الإنسان البدائي لم يكن يعرف ويعبد إلا روحا كلية واحدة سارية في الوجود كله".[91]

أما القسم الثاني من النظريات المفسرة لنشأة الدين فتتمثل في :

الاعتقاد بأن نشأة الدين بدأت حين بدأ التوحيد ,الذي يمكن الوصول إليه عن طريق " التأمل أو بوحي إلهي , وما الشرك إلا مظهرا من مظاهر فساده".[92] وقد تمثل الدين في عصر هيوم على أساس تفسيرين أحدهما يرى أن الدين الأول الذي عرفه الإنسان كان هو التوحيد الذي استمد عن طريق الوحي وليس التأمل النظري , بينما القسم الآخر يرى بأن الشرك هو أول مظهر من مظاهر التدين , الذي عرفه الإنسان عن طريق التأمل في الكون .

ففي إطار الفكر الإنساني عموما فإنه مر عبر مراحل تاريخية تبعا لتقدم الزمان وتطوره وانعكاسه على الوعي البشري , فقد أدرك الإنسان البدائي أن الطبيعة يحكمها قوى خارقة غير مرئية فحاول البحث عن تفسيرات لها , ومحاولة حماية نفسه منها , واظهار التعبد لها , خشية غضب الطبيعة , فانتقل من الطور البدائي الوحشي إلى اختراعه لمعتقد ديني يقدس فيه العديد من الطوائف , فهناك من يعبد الرياح , أو الشمس أو الزلازل أو غيرها من مظاهر التعددية الدينية , فاخترعوا العديد من الأديان والطوائف , فكان الدين يمثل أهمية في بعض الحقب التاريخية بسبب عدم وجود تفسيرات واضحة للأشياء الغامضة .

بيد أنه من الملحوظ , أن جميع النظريات السابقة متناقضة فيما بينها ومتعارضة , ولذلك فإنه لا يمكن تبني أي واحدة منها بأنها كفيلة بإرساء صيغة معقولة تفسر نشأة الدين. ومن ثما فلا يمكن التغاضي

عن هذه المرجعية التاريخية والتطورية لفلسفة الدين أو إغفالها , لأنها تشكل مفاتيح لما يتم البحث عنه.

91 : محمد عثمان الخشت, <u>**الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم**</u>, مصدر سابق,ص13.

92 : نفس المصدر ,ص14.

➢ المطلب الثالث: تجديد الخطاب الديني

يجدر الإشارة في بادئ الأمر, إلى أنه عند الحديث عن: " الخطاب الديني", قد لا يرتبط فقط "بالخطاب الإسلامي", فقد يسمى الخطاب الغير إسلامي خطابا دينيا , كالخطاب النصراني,واليهودي,والمسيحي...الخ

كما أن ليس المقصود من" الخطاب الديني ", هو النص الديني الصريح كالقرآن الكريم والسنة النبوية ,لأنه رسالة كاملة شاملة لكل ما يحتاج إليه الإنسان في أي زمان أو مكان .

بينما المقصود من الخطاب الديني الإسلامي, هي مجموعة من التفسيرات والتأويلات التي يقوم بها عدد من الفقهاء والعلماء والمفسرين ,و هو عبارة عن اجتهادات تفسر وتحلل وتأول,ما جاء في صريح القرآن الكريم والسنة النبوية وما ورد عن الخلف الصالح, وثبت صحة ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم. لماذا نجدد؟

أ)– مفهوم التجديد

لغة : نقيض الخلق, والخلق : القديم البالي, فالجديد خلاف القديم, وجدد الشيء يجدده: صيره جديدا.[93]

أي حوله من القديم إلى الجديد. وقال ابن فارس:" سمي كل شيء لم يأت عليه الأيام جديدا ,ولذلك يسمى الليل والنهار الجديدين والأجدين ; لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد.[94]

وبهذا المعنى ,فإن التجديد فاللغة هو العودة إلى المنبع الصافي لعهد الرسول صلى الله عليه وسلم ,والصحابة والخلف الصالح ,وإحياء ما اندرس في تلك الفترة.ولقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على لفظ " التجديد" ,في العديد من الآيات القرآنية في الحديث عن البعث بعد الموت ,وإعادة الناس أحياء. قوله تعالى:{ أئنا لفي خلق جديد}. (السجدة : الآية :10). وقال ابن كثير :" أي أننا لنعود بعد تلك الحال ! يستبعدون ذلك". [95]

أي أن التجديد لغة إذا هو إرجاع الشيء إلى ما كان عليه, أو ارجاعه الى حالته الأولى الأصلية .

---

[93] : محمد بن شاكر الشريف, **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف** , مرجع سابق,**ص11.**

[94] : أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين ,**معجم مقاييس اللغة** ,دار الفكر للنشر, (د.ط),2000, **ص409.**

[95] : محمد أحمد شاكر , **المرجع نفسه**, **ص 11.**

اصطلاحا:

يعرف المودودي المجدد هو:" كل من أحيا معالم الدين بعد طموسها وجدد حبله بعد انتقاضه.[96]

وقال أيضا :" التجديد في حقيقته هو: عبارة عن تطهير الاسلام من أدناس الجاهلية وجلاء ديباجته حتى يشرق كالشمس ليس دونها غمام ".[97]

وعلى ذلك فإن التجديد هو عبارة عن تنقية الإسلام من كل أجزاء الجاهلية , ثم العودة بالدين إلى ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم , أي العودة إلى المنبع الأصلي عودة كاملة صافية , فينفى عنه التحريف , والتزوير والغلو واظهار ما طمس من معالمه , أو ما اقتطع منه , أو ما أضيف إليه بغير حق وألحق به .

وبالتالي فإن التجديد بهذا المعنى لا يحمل معنى سلبيا البتة, فهو" عملية إصلاحية محافظة , وليس عملية تخريبية متفلتة" .[98] كون أن ليس الغاية من التجديد هو طمس معالمه واخفائها أو التحريف في أصوله ومعانيه الصحيحة , وإنما إعادة إحياء الإسلام كما عهدنا عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة والخلفاء الصالحين .

ومن خلال ما سبق نستنتج أن التجديد هو إحياء معالم الدين والسنة النبوية ونزع كل ما ألحق به من شبهات وتحريفات وكل ما يكدر صفوته , وتقديمه للأمة صافيا نقيا كما كان في العهد الأول, ومن المعلوم أن كل بناء يؤسس على غير أصوله الصحيحة , ومن غير ضوابط واضحة , فهو بناء منهار في نهاية الأمر فلا يمكن لكل من هب ودب أن يجدد فالدين , فالتجديد له ضوابط وشروط شرعية , يجب أن تتوفر كل من يجتهد في تجديد الدين, عليه أن يحقق هذه الشروط والضوابط ومن بينها:

* تغيير طرق التفكير من خلال تجديد العقول: تكون بداية من خلال تغيير المناهج الدراسية التي تعتمد على التلقين والحفظ , مما يكون لنا عقلية مغلقة , وشخصية متطرفة فالمستقبل , جراء تبني عقلية واحدة متعصبة. و الحل هو تنمية القدرة على الفهم والتحليل والمقارنة وعلى التفكير الناقد والاستنتاج.

---

[96] : المودودي , **تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم**, دار الفكر الحديث, ط2, لبنان,1967م, **ص13.**

[97] :المرجع نفسه, **ص16.**

[98] : محمد شاكر الشريف, **تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف**, مرجع سابق, **ص 12.**

* وسائل الإعلام والثقافة : فلهما دور كبير في تطوير عقلية المواطنين , من خلال برامج التوعوية قبل الشروع في تجديد .

* التخلص من تراث القديم : كون أن هذا التراث يناسب فترة زمنية معينة , وهي لا تناسب متطلبات وأسئلة الوقت الراهن .

* البحث عن وجوه جديدة قادرة على تغيير الخطاب الديني: فلابد من أن يتصف المجدد بالعديد من الصفات التي تؤهله لأن يرقى لمستوى المجدد للدين ومن بين أبرز هذه الصفات أن يكون ذو خلفية دينية جيدة ,بالإضافة إلى تحليه بالجرأة .

* تطوير اللغة: فلابد من أن نطور من اللغة , كون أن اللغة العربية هي لغة جامدة , ومن بين أحد أهم أسباب عجزنا عن تطوير الخطاب الديني, فكيف يمكن التعبير عن فكر ديني جديد بمفردات وأساليب تعبير قديمة؟.

ثانيا : مفهوم الخطاب الديني

الخطاب والمخاطبة لغة : مراجعة الكلام , والخطبة : الكلام المنثور المسجوع.[99]

فقد يراد بالخطاب هو الحديث الذي يرد بين طرفين أو أكثر , وقد يحمل مصطلح الخطاب العديد من الدلالات إلا أنها تصب في معنى واحد . خاطبه : مخاطبة , وخطابا: كالمه وحادثه ووجه إليه كلاما. ويقال: خاطبه في الأمر : حدثه بشأنه.[100]

وبذلك يعد الخطاب الديني من بين المفاهيم الحديثة , لا يقتصر مفهومه على الجانب الديني فقط , فله عدة جوانب كالخطاب اللغوي والأدبي والاجتماعي والسياسي ..الخ. وقد مثل الخطاب الديني الإسلامي بؤرة الإهتمام في الآونة الأخيرة, فظهرت دراسات وآراء متباينة , حول إمكانية تجديد الخطاب الديني الإسلامي , ضمن إطار عقيدة الإسلام وشريعته, والمقصد من هذا التجديد للخطاب هو معالجة التحديات التي تواجه الأمة الاسلامية وتقديم الحلول العصرية في الوقت الحالي.

---

[99] : محمد شاكر محمد, **التجديد من الناحية التأصيلية** , مرجع سابق, **ص 28**.

[100] : مجمع اللغة العربية , **المعجم الوسيط**, مطبعة مصر , ج1, القاهرة , 1960, **ص243**.

أما اصطلاحا :

فالمقصود من الخطاب الديني :" هو عبارة عن منظومة فكرية تحوي مفاهيم ومقولات النظرية الإسلامية, التي تعين الفرد في تقديم مجموعة من التصورات والدلالات النظرية حول إحدى قضايا الواقع الاجتماعي".[101]

يسعى الخطاب الديني لنشر الدين الإسلامي ومحاولة تقديم اجتهادات وتفسيرات للعقيدة الإسلامية بطريقة ميسرة كون أن الدين الاسلامي دين اليسر وليس العسر ,وبذل كل الجهود في سبيل خدمة الدين , مع مراعاة الحفاظ على الشروط والضوابط المشروعة .

دعا محمد عثمان الخشت إلى صياغة خطاب ديني جديد , بدلا من تجديد الخطاب الديني القديم , وأخضع بذلك الدين للفحص والنقد بمنهج عقلاني , من خلال العودة إلى الإسلام النقي الصحيح الذي كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة , لا إلى الإسلام المزيف الذي نعيشه اليوم, الذي انتشر فيه الجماعات الإرهابية والتخلف الحضاري, فيرى أن المشكلة لا تكمن في الإسلام , وإنما في عقول المسلمين لما طرأ عليها من جمود فقهي وفكري, فاختلط – بحسب رأيه- المقدس بالبشري , أي اختلطت النص الأصلي الصريح للقرآن الكريم والسنة النبوية بالاجتهادات البشرية , مما أدى إلى تعصب عقلاني وإلى الرؤية الأحادية للإسلام.

فحاول الخشت من تفكيك الخطاب الديني البشري التقليدي ,فعالج العديد من المشكلات الفقهية والدينية , وحدد موقفه من التراث الإسلامي. فيطرح الدكتور محمد عثمان الخشت من خلال سؤاله:

-كيف ننجح في تجديد الخطاب الديني؟.

*إذن فلنا أن نقول أن الخشت يرى بأن الإنسان بحاجة ماسة إلى فهم جديد للدين ,أي فهم جديد للنص القرآني وللسنة النبوية ,كون أن الخطاب الديني :" هو طريقة فهم الناس لنص المقدس والقرآن الكريم والسنة النبوية".[102]

---

[101]: الشريف حبيلة , **الخطاب الديني وإشكالية المفهوم** , مجلة الآداب واللغات, جامعة العربي التبسي , الجزائر, العدد 1جوان2015, ص79.

[102]: https://youtu.be/_EOW9XYzwf4

وبالتالي فهو يرفض تجديد الخطاب الديني التقليدي , لأنه كان يعبر عن حقبة زمنية معينة , ويلائم ذاك الفهم متطلبات ذاك القرن , فيرى أن تجديد الخطاب الديني عملية أشبه ما تكون بترميم بناء قديم , والأجدر بنا هو إقامة بناء جديد بمفاهيم جديدة ولغة جديدة ومفردات جديدة ,إذا أردنا أن نقرع أبواب عصر ديني جديد.

وفي الحقيقة أن الدكتور الخشت لا يدعوا إلى تجديد هذا الخطاب الديني التقليدي , بل إلى إعادة صياغة جديدة للدين ,على سبيل المثال للتوضيح: هو لا يريد إعادة ترميم الدين لفهم صحيح , بل يدعوا إلى صياغة فهم جديد لهذه النصوص الدينية الأصلية .

ويرى محمد عثمان الخشت أنه من أجل تجديد أي خطاب ديني لابد لنا من تجديد العقل , كون أن العقل العربي هو عقل مغلق , قائم على الحفظ والتلقين , حتى في المناهج الدراسية, مما يكون لنا عقليات مغلقة على نفسها , وهذا ما يؤدي إلى تكوين الجماعات الإرهابية ويؤدي إلى التطرف .

يقول:" من المنطق تجديد العقول من خلال المناهج الدراسية قبل تجديد الخطاب الديني". [103]

فيقول الخشت :" لابد من تجديد علم أصول الدين بالعودة الى المنابع الصافية القرآن الكريم و ما صح من السنة النبوية المطهرة , فالتجديد يقتضي تغيير طرق التفكير وتغيير رؤية العالم, يجب أن تقوم على رؤية جديدة عصرية إلى القرآن الكريم بوصفه كتابا إلهيا مقدسا. يصلح لكل العصور وإلى كل الأزمان ... لذا فنحن ندعوا إلى تطوير علوم الدين, وليس إلى إحياء علوم الدين".[104]

ولقد تلقى الدكتور محمد عثمان الخشت بعض الانتقادات خاصة من شيوخ الأزهر , خاصة من فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور:" أحمد الطيب شيخ الأزهر" ,بعد إيداعه لكتاب: " نحو تأسيس عصر ديني جديد" ,في مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي . فانتقده في التراث حين صرح الخشت أنه لابد من التخلي عن التراث , كونه يشكل عائقا أمام التقدم والتحضر , مبرزا أن من أسباب التخلف العرب وتقدم الغرب ,كون أن الغرب قد تخلصوا من التراث من خلال الدعوة إلى شن العداء ضد كل ما هو ميتافيزيقي لاهوتي , فيأتي رد الشيخ أحمد الطيب كالآتي ": هذا التراث الذي نهون ونهول في تهوينه , يحمل مجموعة من القبائل العربية , التي كانت متناحرة ولا تعرف يمينا من

---

[103]: https://youtu.be/vqP0R0jNDIQ

[104] :https://youtu.be/vqP0R0jNDIQ

شمال ,في ظل ثمانين عام إلى أن يضعوا قدمهم في الأندلس والأخرى في الصين , لأنهم وضعوا أيديهم في مواطن القوة في التراث. هذا التراث خلق أمة كاملة وتعايش مع التاريخ –فيطرح سؤال– أليس التراث والشريعة الاسلامية هي من كانت تسير الحضارة الاسلامية قبل الحملة الفرنسية ؟".[105]

فالتراث يمثل هوية الأمة والحضارة الإسلامية ككل وثقافتها وتاريخها الطويل , فهو ذاكرة الأمم , وميراث الآباء والأجداد, وأن الحط من شأن هذا التراث بأنه يورث الضعف والتخلف والتراجع ما هي إلا إنقاص من شأن هذا التراث العظيم . فهو مظهر من مظاهر الإبداع الفردي والجماعي على مدار قرون عديدة , فيشير الشيخ أحمد الطيب أن الحط من شأن هذا التراث وجعله سببا في التخلف أو التراجع ماهي إلا مزايدة على هذا التراث , بل يجب بذل كل الجهود في سبيل المحافظة على التراث , وتقديم خطة واعية لإحياء التراث الإسلامي , وليس نقده والقضاء عليه. هذا من ناحية أما من ناحية أخرى قضية تجديد الخطاب الديني من خلال إعادة صياغة جديدة للدين , ويقدم الخشت على سبيل المثال فيقول :" التجديد مثل منزل الأب أقدره وأحترمه , لكن لا أسكن فيه .. –فيأتي الرد من الشيخ أحمد اطيب – هذا ليس تجديد وإنما إهمال وترك وإعلان عن الفرقة لبيت الوالد".[106]

هذا هو الخطاب التنويري الجديد الذي يريد من خلاله التنويرين تمريره في أذهاننا, وكأن الدين لا يصلح لكل وقت وزمان ومكان , وكأن الدين الذي نزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم , هو دين غير إنساني.

فالدكتور محمد عثمان الخشت يدعوا في مؤلفاته خاصة كتابه الجديد :" تأسيس عصر ديني جديد" يدعوا فيه إلى صياغة خطاب ديني جديد بدلا من تجديد الخطاب الديني القديم , وبهذا المعنى فإنه لا يعني التجديد من خلال الرجوع إلى الينابيع الصافية النقية للدين والسنة , بل إلى صياغة جديدة للدين , كون أن الدين الحالي هو دين الإرهاب – على حسب قوله– والدعوة إلى أنسنة الدين , فيحاول بذلك إلى حصر الدين في مفاهيم أخلاقية مثل قيم :" التسامح , الخير, مساعدة الآخرين, احترام الجار, العدل , الحب...الخ . في حين أن يقصر بهذا المعنى على المعاملات بين العباد.

---

105 : https://youtu.be/vqP0R0jNDIQ

106 : https://youtu.be/vqP0R0jNDIQ

ثم يتجه العديد من التنويرين اليوم إلى التأثير في عقول الشباب (أو المجتمع ككل), من خلال إنشاء الخطابات واللقاءات وغيرها من وسائل الإعلام, بإخراج عيوب مجموعة من نماذج من مشايخ وكبار العلماء , حتى تهتز ثقة المجتمع بهم , ومن المعلوم إن اهتزت ثقة الشعب بالمشايخ فقد يرد في نفوسهم الشك والإرتياب من صحة الدين , ثم يواصلون هذه المكائد المدبرة الملفقة من خلال اقناع المجتمع بأن الخطأ ليس على المشايخ , بل أن حتى المشايخ والفقهاء ورجال الدين قد وقعوا في مستنقع التراث وحصل ما حصل لهم من خلال تتبعهم الأعمى للتراث الإسلامي.

فمثلا التشكيك في الأزهر باعتباره الراعي الرسمي في الحفاظ على التراث الإسلامي , وهذا ما جعل الأزهر يقفون في وجه الدكتور محمد عثمان الخشت بعد إصداره لكتابه الأخير: " تأسيس عصر ديني جديد", فالتنويرين يزعمون بأنهم يريدون إظهار حقيقة الدين, تحت شعار أنهم لا يهاجمون في الحقيقة الدين, بل الأشياء الغير صحيحة فيه وبأن هذه الأفكار التي ألحقت بالدين هي من تنشأ المنظمات الإرهابية وتنشر التطرف بين صفوف المسلمين.

إلا أن الرأي الذي أتبناه , هو أن الدين منتج إيماني قديم لا يقبل التطور ولا التجديد, وأن الذي يتغير هي المعطيات الخارجية , على سبيل المثال : عندما تحصل قضية جديدة نجتهد طبعا من يقوم بالإجتهاد هم العلماء والفقهاء المؤهلين لذلك والتي تتوفر فيهم الضوابط والشروط المشروطة لهم وفق النصوص دينية ونضعها في مكانها المناسب . فالله عز وجل أنزل في محكم تنزيله قوله تعالى :{ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا}. (المائدة: الآية :03).

وهذه من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة, حيث أكمل الله تعالى لهم دينهم, فلا يحتاجون إلى دين غيره, فلا حلال إلا ما أحله , ولا حرام إلا ما حرمه , ولا دين إلا ما شرعه.

خاتمة

من خلال دراسة إشكالية النزعة التنويرية عند محمد عثمان الخشت – أنموذجا– توصلنا إلى مجموعة من النتائج , متمثلة في نقاط مهمة:

- يقدم العمل في الفصل الأول خلاصة فكرية عن الكتابات التاريخية الأوروبية الحديثة , التي عبرت عن تطلعات مثقفي أوروبا ومفكريها , وعن ميول جماعاتها وشعوبها من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر, عن التخلص من الفكر الرجعي الديني والتخلص من التراث بشكل قطعي , ومحاولة الإعلاء من قيمة العقل , فعكست الثورة الفرنسية حركات اجتماعية وتحولات اقتصادية والتفاعلات الثقافية والتطورات السياسية التي نتجت جراء هذه الثورة.
- تمثل العقلانية هي الحجر الأساس التي قامت عليه فلسفة التنوير عند الدكتور محمد عثمان الخشت, ففلسفته قائمة بشكل أساسي على النقد العقلاني الملتزم بمعايير المنطق و الوصف العلمي والتحليل الفلسفي لمختلف الإشكالات عصر الحداثة وما بعدها .
- إن الأزمة التي أحدثتها الثورة الفرنسية غيرت مجرى التاريخ بأكمله, وأدت إلى التطور في مختلف مجالات الحياة المتمثلة في:

* الاقتصادية : القضاء على النظام القديم الإقطاعي , وفتح مجال لتطور النظام الرأسمالي وتحرير الاقتصاد من رقابة الدولة.

* السياسية: إلغاء النظام الملكي و إرساء الديمقراطية وحقوق الشعب والمواطنة والمساواة بين الجميع أمام القانون وفصل الدين عن الدولة .

* الاجتماعية: إلغاء حقوق الإقطاعية وامتيازات النبلاء ورجال الدين ومصادرة أملاك الكنيسة , كما أقرت الثورة مجانية التعليم والعدالة الاجتماعية .

*الثقافية: الطباعة والمجلات مع حرية النشر الكتب والمقالات .

- تقوم فلسفة التنوير عند محمد عثمان الخشت على مجموعة من الدعامات التي اعتبرها الخشت كالهيكل المنظم والمنسق لعمله وفكره الفلسفي وهي:

– بناء نسق عقلاني بامتياز.

– تجديد الخطاب الديني من خلال إعادة صياغته صياغة عقلانية تتوافق مع متطلبات العصر الراهن.

– تأويل النص الديني بالاعتماد على العقلانية النقدية وإعمال العقل النقدي من أجل تفكيك الخطاب الديني التقليدي, أو بصيغة أخر تفكيك البنية العقلية للفكر الإنساني الذي نشأ حول الدين.

- دعوة محمد عثمان الخشت إلى تأسيس عصر ديني جديد , وتصحيح التصورات الأسطورية والأفكار الغير منضبطة التي خلفها الخطاب الديني البشري التقليدي.
- دعوة الخشت إلى التصدي للتعصب سواء كان للدين أو للعلمانية , والقضاء على أي شكل من أشكال التطرف الديني والعلماني, والتحذير من وقوع المجتمعات العربية الإسلامية في فخ التعصب الذي يكون عقلية منغلقة , تنفي الرأي الآخر , مما يؤدي بالتالي إلى تشكل العناصر الإرهابية .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا : المصادر

المصادر باللغة العربية:

أ _ القرآن الكريم

1- محمد عثمان الخشت, مدخل إلى فلسفة الدين, دار قباء لطباعة والنشر, القاهرة,2001.

2- محمد عثمان الخشت, العقلانية والتعصب, نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة,2007.

3- محمد عثمان الخشت , الدين والميتافيزيقا في فلسفة هيوم ,دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع,(د.ط), القاهرة .

4- محمد عثمان الخشت, أقنعة ديكارت العقلانية تتساقط, دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, 1998.

ثانيا : المراجع

1- ايمانويل كانط, الدين في حدود مجرد العقل, تر: فتحي المسيكني , جداول للنشر والتوزيع, (ط1), بيروت,2012.

2- ايمانويل كانط, مشروع للسلام الدائم, تر: عثمان أمين, مكتبة الأنجلو مصرية, (ط1), القاهرة , 1952.

3- ايمانويل كانط, ما الأنوار؟, تعريب وتعليق: محمود بن جماعة, دار علي للنشر ,(ط1),تونس,2005.

4- ابن تيمية , درء تعارض العقل والنقل, تحقيق: محمد رشاد سالم, ج1, القسم الأول,(د.ط), د.س.

5- برنار غروتويزن, فلسفة الثورة الفرنسية , تر: عيسى عصفور, منشورات عويدات, (ط1),بيروت,1982.

6- بشير بوغازي, فلسفة عصر التنوير, مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع, (ط1), الجزائر ,2016.

7- جان غروندان , فلسفة الدين , ترجمة وتعليق : عبد الله المتوكل , مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع , لبنان , بدون سنة.

8- دوليندا أوترام, التنوير, تر: ماجد موريس ابراهيم, دار الفارابي, (ط1), بيروت, 2008.

9- راشد مبارك, التطرف خبز عالمي, دار القلم, (ط1), سوريا,2006.

10- عمرو شريف , تجديد العقل الديني في مشروع الخشت الفكري, تصدير: عمرو شريف , تحرير: د. غيضان السيد علي ,روابط للنشر وتقنية المعلومات ,دون سنة.

11- طه عبد الرحمن, سؤال الأخلاق(مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية), المركز الثقافي العربي للنشر, (ط1), لبنان,2000.

12- عبد العال سالم مكرم, الفكر الاسلامي بين العقل والوحي, دار الشروق , (ط1), 1982.

13- عبد الناصر بن موسى أبو البصل, تحرير المفاهيم والمصطلحات (الدين , الحرية , محكمات الشريعة , الانحرافات الفكرية), مؤتمر الانحرافات الفكرية بين حرية التعبير ومحكمات الشريعة , رابطة العالم الاسلامي , المجمع الفقهي الاسلامي , مكة المكرمة ,دون سنة.

14- غيضان السيد علي**,**عقلانية بلا ضفاف(الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية في أعمال الخشت الفكرية)**,**مراجعة وتقديم: عصمت نصار, دار الكتاب العربي, 2013.

15- ف. فولغين, فلسفة الأنوار , تر: هنرييت عبودي, مراجعة : جورج طرابيشي, دار الطليعة للطباعة والنشر, (ط1), 2006.

16- محمد عبد الله دراز ,الدين(بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان), دار القلم,1952.

17- محمد عمارة , مقام العقل في الإسلام, نهضة مصر ,(ط1), القاهرة,2009.

18- محمود محمد علي محمد, مفهوم العقلانية عند ستيفن تولمين, مطبعة محسن سوهاج, 2008.

19- محمد بن شاكر الشريف, تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف , فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر, الرياض, (ط1) ,2004

20- محمد الطاهر بت عاشور, تفسير التحرير والتنوير, ج3, الدار التونسية للنشر والتوزيع ,(د.ط), تونس ,1984.

21- محمد أحمد علي مفتي, مفهوم المجتمع المدني والدولة المدنية(دراسة تحليلية نقدية), مجلة البيان للبحوث والدراسات , الرياض, 1714.

22- ليود سبنسر, عصر التنوير, تر: امام عبد الفتاح, المجلس الأعلى للثقافة, (ط1),القاهرة, 2005.

23- هاشم صالح, مدخل إلى التنوير الأوروبي, دار الطليعة للطباعة والنشر,(ط1),بيروت,2005.

المعاجم والموسوعات:

1- ابراهيم مذكور, المعجم الفلسفي , (د.ط), القاهرة , مجمع اللغة العربية,1983.

2- أندريه لالاند , موسوعة لالاند الفلسفية , المجلد3, تعريب خليل أحمد خليل, منشورات عويدات,(ط2), باريس , 2001.

3- ابن منظور, معجم لسان العرب, دار إحياء التراث العربي,(د.ط),بيروت,1999.

4- أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين ,معجم مقاييس اللغة ,دار الفكر للنشر, (د.ط),2000.

5- الجرجاني , معجم التعريفات , تحقيق ودراسة محمد صديق المنشاوي , دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير, القاهرة, 1413.

6- جميل صليبا , المعجم الفلسفي, الجزء الأول, المجلد الأول, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1978.

7- جميل صليبا , المعجم الفلسفي , الجزء الثاني, دار الكتاب اللبناني, بيروت, 1982.

8- جورج طرابيشي, معجم الفلاسفة (المتكلمون, المناطقة , الفلاسفة), دار الطليعة,(ط3),بيروت.

9- مراد وهبه ,المعجم الفلسفي ,دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع ,(ط5), 2007.

10- المعجم الوسيط, مجمع اللغة العربية ,مكتبة الشروق الدولية ,(ط4),القاهرة ,2004.

11- الراغب الأصفهاني, المفردات, مكتبة نزار مصطفى الباز, ج1, د.س.

فهرس الموضوعات

ملخص الدراسة

تناولت هذه الدراسة النزعة التنويرية عند محمد عثمان الخشت , وأهم الإشكاليات التي طرحها الوقت الراهن , و عنيت الدراسة أيضا بإبراز عقلانية الخشت في تحليله للقضايا الفقهية والدينية والاجتماعية والفلسفية وحتى السياسية منها ....

كما أن للدراسة جوانب تتعلق بأحدث الإشكالات التي طرحت في القرن العشرين , حول إمكانية تجديد الخطاب الديني أو كما يسميها الدكتور محمد عثمان الخشت " تأسيس عصر ديني جديد من خلال إعادة صياغة جديد للدين , وكسر القواعد التقليدية واعادة بناء المفاهيم الدينية , والوقوف بالمرصاد لأي تعصب دوجماطيقي أو تطرف ديني أو علماني من شأنه إفساد المجتمع وهلاكه.

الكلمات المفتاحية:

التنوير, العقلانية, الدين , التطرف ,التعصب.

Abstract:

This Study Considered Trend Enlightenment Mouhamed Othman EL .khosht , The most important problems raised by For The Time being , The Study also dealt highlight rational El khosht to the analysis of the issues juriprudential in religious .social . philosophical and even political ……

The Study also has aspects of the most recent problems of the twentieth century . about the possibility of renewal or reconceptualisation religion…by addressing any intolerance .

Key Words: elightement . rational. Religion.extreme.intolerance.